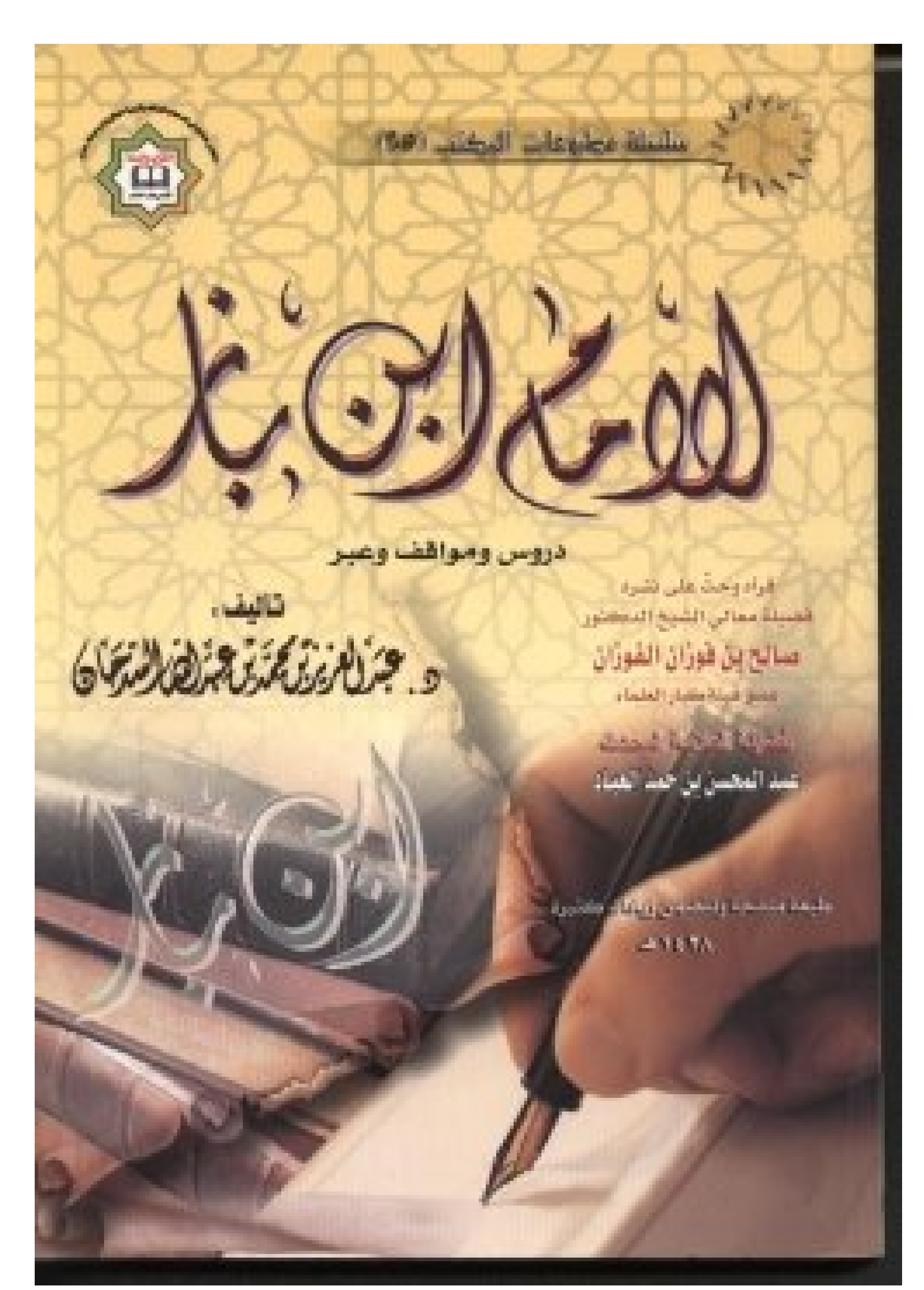


الإمام ابن باز
دروس ومواقف وعبر
تأليف:
د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان
قرأه وحث على نشره
فضيلة معالي الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان الفوزان
عبد المحسن بن حمد العباد

تقديم

لفضيلة الشيخ

عبدالمحسن بن حمد العباد البدر

الحمد لله ربِّ العالَمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وباركَ على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد اطَّلعتُ على الكتاب القيِّم الذي ألَّفه أخونا الشيخ الفاضل/ عبدالعزيز بن محمَّد السدحان عن حياة شيخنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله وغفرَ له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، الذي سمَّاه: «الإمام ابن باز: دروس ومواقف وعِبَر».

ولا شكّ أنّ حياةَ شيخنا **رحمه الله** حافلةٌ بالأعمال الجليلة في الدعوة إلى الإسلام والنُّصح للمسلمين، وإنَّه لَإمامٌ من أئمَّة الهُدى، وفي حياته دروسٌ عظيمةٌ، ومواقفُ نبيلةٌ، وعِبرٌ للمعتبِرين.

ولقد أحسنَ المؤلِّفُ فيما كتب عن شيخنا **رحمه الله** وأجاد وأفاد، وممَّا زاد في حُسن ما كتب عنايتُه بالرَّبط بين أحوال الشيخ عبدالعزيز ـ **رحمه الله** ـ وصفاته الحميدة وما كان عليه سلفُ الأمَّة، فهو ـ **رحمه الله** ـ في صِدقه وإخلاصه وعِلمه وعَمَله يُذكِّرُ بالعلماء السابقين الذين خَلَّدَ اللهُ ذِكرَهم، وقد مضى على موتهم مئاتُ السِّنين، وهكذا فلتكن الحياة: علمًا وعملًا، فقهًا وأثرًا، أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكَر، دعوةً إلى الحقِّ والهُدى وتحذيرًا من أسباب الشقاء والرَّدَى.

وما أقوى شَبَهه ـ **رحمه الله** ـ فيما منحه الله من صفاتٍ حميدةٍ وأخلاقٍ كريمةٍ وجهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين بالإمام عبدالله بن المبارَك المروزي **رحمه الله**، الذي قال فيه الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: «ثقةٌ ثَبْتٌ، فقيهٌ عالِمٌ جوادٌ مجاهدٌ، جُمِعت فيه خصالُ الخير». وقد ذكر ذلك المؤلِّفُ في آخر كتابه جزاه الله خيرًا وباركَ فيه وفي جُهودِه.

وإني أوصي طلبةَ العلم بقراءة هذا الكتاب القيِّم والاستفادة منه.

وصلّى الله وسلَّم وباركَ على عبدِه ورسولِهِ نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالمحسن بن حمد العباد البدر(١)

في ٢١/ ٧/ ١٤٢١هـ

---

(١) أصل هذا الكتاب محاضرةٌ أُلقيت في قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية بتاريخ ٧/ ١/ ١٤٢١هـ، وقد تكرَّم فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر فحضر المحاضرة وعلّق عليها وأوصى بطبعها، ثمّ قدّم لها وأبدى بعض الملحوظات، فشكر الله لفضيلته حرصَه ونُصحَه.
ثم زدتُ على الكتاب في طبعته الثانية ـ بعد مقدّمة الشيخ هذه ـ بعض الزيادات وميّزتها عن طبعة الكتاب الأولى فجعلتها بين معقوفين هكذا [ ].

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسَلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيختلفُ الناسُ في علُوِّ مراتبهم وشريف منازلهم بحسب ما يتمايزون به من الصفات الحميدة.

وميزان التفاضل في ذلك راجعٌ إلى كثرة تحصيلهم واتِّصافهم بجميل الصفات وكريمها، وقد يتقاربُ جماعةٌ من الناس ـ أو يتقاربُ أكثرهم ـ لاشتراكهم في صفاتٍ كريمة تتَّفق نوعًا أو عددًا.

إلَّا أنّ أفرادًا من الناس قد يَصِلُون إلى منزلة يصعُب الوصول إليها والرُّقيّ إلى مرتبتها، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[(١)]، ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[(٢)]، ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[(٣)].

شاهد المقال: أنّ مثل أولئك الأكارم الأماجد تتُوق النفوس إلى معرفة سِيَرهم، بل يدفعُها فُضولٌ محمودٌ إلى التشوُّف والتتبُّع لأخبارهم وأحوالهم جُملةً وتفصيلًا.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فمن أولئك الأفذاذ النوادر رجُلٌ أحسبُه ـ والله حسيبُه ـ بأنه لم يُرزَق القَبول في عصرنا هذا أحدٌ مثل هذا الرَّجُل، ألا وهو الشيخ، بل شيخ الإسلام والمسلمين، الحافظ المحدِّث، الفقيه المفتي، ناصر السنَّة وقامع البدعة، أبو عبدالله عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جعل الله الفردوس الأعلى مثوانا ومثواه.

وقد تكلّم الكثيرون وكتبوا عن سماحته ما بين مستقلٍّ ومستكثِر، ولا تزالُ الأقلام مستمرَّةً في تدوين سيرته العطِرة.

---

(١) فصّلت: ٣٥.

(٢) المائدة: ٥٤، الحديد: ٢١، الجمعة: ٤.

(٣) البقرة: ١٠٥، آل عمران: ٧٤.

ومن المعلوم أنّ قراءة ومعرفة سِيَر الصالحين تزيد الهمَّة وتُقوِّي العزيمة، وتبعثُ النشاط في النفس، ومما يحسُن ذِكرُه هنا ما قاله سماحتُه ـ رحمه الله تعالى ـ بنفسه عندما أفرد محاضرةً عن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال في مطلعها **رحمه الله**:

«لما كان الحديثُ عن المصلحين والدُّعاة والمجدِّدين، والتذكيرُ بأحوالهم وخصالهم الحميدة وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم التي دلّت على إخلاصهم وعلى صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم، ولما كان الحديث عن هؤلاء المصلحين المشار إليهم وعن أخلاقهم وأعمالهم وسيرتهم مما تشتاقُ إليه النفوس وترتاحُ له القلوب، ويودُّ سماعَه كلُّ غَيور على الدِّين، وكلُّ راغبٍ في الإصلاح والدعوة إلى سبيل الحقّ... إلى أن قال **رحمه الله**: رأيتُ أن أتحدّث إليكم عن رجلٍ عظيم ومُصلح كبير وداعيةٍ غَيور، ألا وهو الشيخ المجدِّد للإسلام في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية، وهو الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى» اهـ.

قلت: وأنا في هذا الكتاب سأتحدّث عن مقام رجُلٍ عظيم، وعن مصلح كبير، وعن داعيةٍ غَيور، وهو ـ كما تقدّم ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى.

كتب التراجم

إنّ كلام أهل العلم في العناية بجانب الترجمة للأئمة الأعلام واضحٌ وجليّ، ومن شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر: ما ذكره الإمام الحافظ ابنُ حجَر ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» يعني الإمامَ الشافعي رحمه الله تعالى، حيث قال الحافظ **رحمه الله**: «الحمد لله الذي جعل نجومَ السماء هدايةً للحيارى في البرّ والبحر من الظلماء، وجعل نجوم الأرض ـ وهم العلماء ـ هدايةً من ظلمات الجهل، وفضّل بعضهم على بعض في الفهم والذكاء، كما فضّل بعض النجوم على بعض في الزِّينة والضياء»[(١)].

وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: «لكن ذكرتُ جماعةً من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلتُ عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم؛ ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي»[(٢)].

وهذا ياقوت الحموي في مطلع كتابه «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» المعروف بـ«معجم الأدباء» يقول: «فهذه أخبار قومٍ عنهم أُخذ علمُ القرآن المجيد والحديث المفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمرُ السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمّ الإسلام، وباستنباطهم يُعرَف الحلال من الحرام»[(٣)].

وهذا الغبريني (المتوفى في عام ٧١٤هـ) يقول في مقدمة كتابه «عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»: «وذلك بحيث يعلم طالبُ العلم الأئمة الذين بهم يقتدى، وبسلوك سننهم السويّ يهتدى»[(٤)].

إنّ معرفة أخلاق العلماء ومعرفة سِيَرهم مَكسَب كبير، وتجارة رابحة لطالب

---

(١) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس» (ص٢٥).

(٢) «وفيات الأعيان» المقدمة (١/ ٢٠).

(٣) «معجم الأدباء» (١/ ٣٢).

(٤) «عنوان الدراية» (ص١٩-٢٠).

العلم، فإذا قرأ طالبُ العلم تراجم أولئك الأئمة الأعلام ازداد بصيرةً وتنوُّرًا في سلوك طريقه، وفي المقابل يعلم مكامن النقص والخلل في ذاته وسيرته.

إنّ معرفة سيَر العلماء والحرص على تدوين أخبارهم ورحلاتهم وجُهودهم سُنَّة ماضية عند أهل العلم المتقدِّمين والمتأخِّرين، يشهد لهذا ويُؤكِّدُه عشرات ـ بل مئات ـ الكتب المتضمِّنة في مجموعها لآلاف التراجم.

وقد تفنَّن أهلُ العلم رحمهم الله في تصنيفهم لكتب التراجم، فمنهم من أفرد ترجمةً مستقلّةً عن إمام معيَّن، مثل الإمام الموفق بن أحمد المكِّي حينما أفرد ترجمةً مستقلة في مناقب الإمام أبي حنيفة(١) رحمه الله تعالى، وفعل مثله الكردي(٢) فكتب في مناقب الإمام أبي حنيفة، والصيمري له كتاب «أخبار أبي حنيفة وأصحابه».

وهذا الإمام القاضي عيسى الزواوي أفرد مصنَّفًا مستقلا في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى.

وأفرد الأئمة: ابن أبي حاتم الرَّازي(٣) والبيهقي(٤) وابن كثير(٥) وابن حجر(٦) مصنفات مستقلة في ترجمة الإمام الشافعي رحمه الله.

وهذا الإمام ابن الجوزي أفرد مصنَّفًا مستقلا في مناقب الإمام أحمد رحمه الله.

ونحا بعضُ أهل العلم منحًى آخر، فأفردوا كُتبًا مستقلةً في ترجمة طبقة معيَّنة يشتركون في عصر أو قُطر أو عِلم أو مذهب، فهناك من أفرد بعضَ أتباع المذاهب بمصنَّف مستقلّ، مثل: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات اللكنوي، و«الطبقات السنيَّة في تراجم الحنفية» لتقي الدين بن عبدالقادر الدارمي، و«الجواهر

---

(١) واسم كتابه «مناقب أبي حنيفة».

(٢) واسم كتابه: «مناقب أبي حنيفة».

(٣) واسم كتابه: «آداب الشافعي ومناقبه».

(٤) واسم كتابه: «مناقب الشافعي».

(٥) واسم كتابه: «مناقب الإمام الشافعي».

(٦) واسم كتابه: «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس».

المضية في طبقات الحنفية» للقرشي.

و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» للقاضي عياض.

و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي، و«طبقات الشافعية» لابن هداية الحسيني.

و«طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب، و«ذيل» ابن عبدالهادي على «طبقات» ابن رجب.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العلم ونوع الفنّ والتخصص: طبقات المفسرين، وقد صنف فيها الداودي والسيوطي.

وطبقات المحدِّثين، مثل: «طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ الأصبهاني. وطبقات الحفاظ، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي كتابًا سمَّاه: «تذكرة الحفاظ».

وطبقات القرَّاء، وقد صنَّف فيها الإمام الذهبي أيضًا كتابًا سمَّاه: «معرفة القرَّاء الكبار».

وطبقات النحاة، وقد صنَّف فيها السيوطي كتاب «بُغية الوُعاة».

وطبقات الأطباء، وصنَّف فيها ابن أبي أُصيبعة... وهّلم جرا.

وكما سلف آنفًا؛ فمنهم من أفرد علماء قُطر معيَّن، كـ«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر، و«تاريخ أو أخبار أصفهان» للحافظ أبي نُعيم الأصبهاني، و«تاريخ حلب» لابن العديم، واسمه «بُغية الطلب في تاريخ حلَب»، و«تاريخ إربل(١)» لابن المستوفي.

ومن أمثلة تصنيف التراجم على حسب العصر: «تاريخ الإسلام» للذهبي،

---

(١) إِرْبِل: بالكسر ثم السكون وباء موحَّدة مكسورة ولام، بوزن «إِثْمِد». انظر: «معجم البلدان» (١/ ١٣٧).

و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني... إلى غير ذلك من أنواع التراجم.

وأخيرًا: فهذا كتابٌ يجمع أخبارًا موجَزة عن شيخ الإسلام الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى، وهذا من باب البرّ به وردِّ شيءٍ من الجَميل تُجاه ما قدَّمه للإسلام والمسلمين.

وفي هذا الكتاب سأذكُر أخبارًا ووقائع في حياة سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى، وسأجعلها مصنَّفة تحت عنوانات؛ ليكون الحديث أكثرَ وضوحًا وأكثر استجماعًا للفائدة، وأما حياة الشيخ وترجمته الزمنية التفصيلية وذِكر مشايخه رحمهم الله، وذِكر تلاميذه وفقهم الله، فلن أُعرِّج عليه؛ لأنّ هذا قد بُسط وبُحِث كثيرًا[1].

والقصد من ذِكر هذه المواقف والأخبار أن يأخذ الإنسان الدروس والعِبَر وأن يتبصَّر فيها، وبخاصة طالب العلم المحبّ لسماحته، فعندما يعرف تلك المواقف يُدرِك كيف تمثَّل الشيخُ السنَّةَ فيها، وكيف أقام الشيخُ سيرتَه ونهجَه على العلم الشرعي المؤصَّل من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

***

(١) ولقد ألقى فضيلة الشيخ المحدِّث عبدالمحسن العباد محاضرةً عن سماحة الشيخ في مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ليلة الجمعة ٦/ ٢/ ١٤٢٠هـ، وهي قبل محاضرة المؤلِّف التي ألقيت في قاعة المحاضرات في الجامعة نفسها في يوم ٧/ ١/ ١٤٢١هـ.

سمت الشيخ ووقاره

ليست الفائدة من حُضور حِلَق العلم مقصورةً على التحصيل العلميّ فحسب، بل القصدُ أوسعُ من ذلك؛ فهناك خُلُق الشيخ وتعامله مع السائلين، ورَحابة صدره عند الاعتراض عليه، والتواضع في سماع المداخلة من طُلَّابه.

قال أبو بكر المطوعي **رحمه الله**: «اختلفتُ إلى أبي عبدالله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ـ ثنتي عشرة سنةً وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبتُ عنه حديثًا واحدًا، إنما كنتُ أنظرُ إلى هديه وأخلاقه»[١].

وذكر الذهبي **رحمه الله** أنّ مجلس الإمام أحمد **رحمه الله** كان يحضُرُه خمسة آلاف، خمسمائة يكتُبون والباقون يستمدُّون من سَمتِه وخُلُقه وأدبه[٢].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).

(٢) المصدر السابق.

من صفات دروس الشيخ

دروس سماحة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تغشاها الهيبة من حيث وقار الشيخ وتعظيمه للعلم، وجلوسه الطويل للطلّاب، وحُسن طرحه للدرس، وسعة صدره ورَحابة نفسه في قَبول السُّؤال، وتحمُّل تكرار السؤال عليه، والإنصات من طُلّابه، والمواظبة على المتابعة في أثناء الدرس والإصغاء التام لكلام سماحته، ويُزين ذلك دموعٌ طيّبة تغلب الشيخ في بعض المواقف، خاصةً في مواقف السيرة النبوية على صاحبها أتمّ الصلاة والتسليم ، فقد كان شيخُنا سريعَ الدمعة، تسبقُ عَبَراتُه عباراته في كثير من المواقف.

ومن الهيبة والوقار أنّ الطالب إذا حضر في درس سماحته يشعُر بشُعور روحانيّ، ولعل ذلك من نزول السَّكينة وغشيان الرَّحمة وحفِّ الملائكة بتلك الحلقة، حتى يُخيَّل للحاضر أنّ مجلسَه كمجلس عبدالرحمن بن مهدي شيخ الإمام أحمد ذلك المجلس الذي وصفه أحمد بن سِنان بقوله: «كان لا يُتَحدَّث في مجلس عبدالرحمن، ولا يُبرى قلم، ولا يتبسَّم أحدٌ، ولا يقوم أحدٌ قائمًا، كأنّ على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة»[١].

وقد جمع الله للشيخ عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ في دروسه ومحاضراته من الصفات الحميدة والسجايا الشريفة نصيبًا وافرًا، فهناك هيبة ووقار وسمتٌ في الإنصات وخشوع وعبَرات.

وكما قال ابن الجوزي عن شيخه الأنماطي: «كنتُ أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وانتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره»[٢].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ١٣٦).

ظهور القدوة في جميع شأنه

جاء في ترجمة عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان: أنه كان كثير العبادة والتألُّه، رآه علي بن عبدالله بن عباس فأعجبه نُسكه وهديُه، فاقتدى به في الخير[١].

وقال عبدالله بن وهب: «ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه»[٢].

[وذكر الحافظ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة الحسن البصري ما نصُّه: «وقال يونس بن عُبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يسمع من كلامه ولم ير من عمله.

وكان ابن سيرين إذا دخل السوق يقف أهل السوق عن البيع والشراء ويذكرون الله.

وكان الرجل ينتفع برؤية ابن قدامة (صاحب «المغني») قبل أن يسمع[٣].

وقال جعفر الصادق: إذا قسا قلبي ذهبتُ إلى المسجد الذي فيه محمد بن واسع فأنظر إلى وجهه فقط فأجتهدُ أسبوعًا في طاعة الله من تلك النظرة.

وقال ابن القيِّم: كانت تتكالبُ علينا الهموم فنأتي شيخَ الإسلام فما أن نراه حتى يذهب عنا ذلك الهمّ، فسبحان من أدخل عبادَه جنّته قبل لقائه.

وقال رشأ بن نظيف: «قد شاهدت ساداتٍ، فما رأيت مثل أبي محمد بن أبي نصر، كان قُرَّةَ عين»[٤].

ويجمع هذا كلّه قوله ﷺ: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله**»].

إنّ سماحة الشيخ عبدالعزيز **رحمه الله** يتأثر الرَّائي له إذا رأى أخلاقه، ورأى تمسُّكَه بالسُّنّة، فهو قدوة في صلاته، وفي لباسه، وقدوة في كلامه، وقدوة في رِقّته

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٠-١١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١٣).

(٣) «تذكرة الحفاظ».

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٦٧).

ولينه، وقدوة في شِدَّته في الحقّ، فحقا إنه مبارَك في أيّ مكان حَلّ فيـه أو ارتحـل إليـه.
قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [١].

(١) مريم: ٣١.

محافظة الشيخ على وقته

[كان ولا يزال أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ أحرصَ الناس على أوقاتهم؛ لعلمهم بعظيم شأن العلم وتحصيله، وأنّ إهمال شيء من الأوقات بلا فائدة معناه ضياع شيء من العمر وفوات شيء من الخير.

ومن تتبَّع أخبار سير العلماء ونظر في تراجمهم عرف مصداق ذلك، ومن هذا الباب ما ذكره ابنُ عساكر رحمه الله في ترجمة الإمام سُلَيم بن أيوب الرَّازي رحمه الله «أنه كان يُحاسِب نفسَه على الأنفاس، لا يدَعُ وقتًا يمضي عليه بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ أو ينسخ شيئًا كثيرًا».

قال ابن عساكر: «ولقد حدّثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يومًا إلى داره ورجع فقال: قد قرأتُ جزءًا في طريقي. قال: وحدّثني المؤمل بن الحسن أنه رأى سُليمًا حفي عليه القلم فإلى أن قطّه جعل يُحرِّك شفتيه فعلم أنه يقرأ بإزاء إصلاحه القلم لئلّا يمضي عليه زمان وهو فارغٌ، أو كما قال»[(١)]].

ومن تتبَّع مَجالس الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وجد أنها لا تخلو من الفوائد، حتى في بيته وأثناء حضوره الأعراس والزِّيارات الخاصة التي يُدعَى إليها من بعض الناس، بل حتى في المستشفى وهو يتلقى العلاج، وقد أخبرني ابنُه أحمد أنّ سماحة الشيخ لما كان في المستشفى كان يُصلِّي بمن معه وهم أربعة أو خمسة نفَر، فإذا صلى والتفت عقب الصلاة أخذ يَعِظُهم ويُذكِّرُهم ويُعلِّمُهم، فإذا كان هذا حالَه في المرض فكيف حالُه في الصحّة؟!

ومن العجيب في محافظة الشيخ على وقته ومجالسه: ما حدّثني به ابنُه أحمد أنّ سماحتَه رحمه الله كان حريصًا حتى على الثواني من وقته، حتى في أثناء رُكوبه في السيارة فهو يشتغل بالعلم إمَّا إملاءً أو سماعًا، ولقد أخبرني ابنه أحمد قال: قُرئ على

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٦٣). وانظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦٤٦).

الشيخ في السيارة كُتبٌ، وذكر منها:

- «مجموع فتاوى» الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى.
- «إغاثة اللهفان» لابن القيِّم رحمه الله تعالى.
- «الإقناع» لابن المنذر رحمه الله تعالى.
- كتاب «مرويات اللعن في السنّة».

إضافة إلى مجموعة من الرَّسائل الصغيرة.

ولقد كان الشيخ رحمه الله يشغَل الثواني والدقائق من وقته بالتسبيح والاستغفار والتهليل، ولقد ذكرَ الإمام السمعاني في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» أنّ المحدِّث إذا كان في حلقة كبيرة كان هناك مستملون، فإذا قال المحدّث: «حدثنا وكيع» قال المستملي: «حدثنا وكيع»، وفي أثناء قول المستملي يبدأ الشيخ بالاستغفار والتسبيح حتى يرجع الصوت له.

وسماحة الشيخ رحمه الله إذا طلب أحدًا على الهاتف وكان في انتظار الردّ تجدُه يُسبِّح ويستغفر الله تعالى.

وقد حدّثني الشيخ عبدالرحمن الجلَّال[1] أنه خرج مع سماحة الشيخ مرَّةً للنُّزهة، قال: فلما جلسنا وصلّينا المغرب ـ فيما أذكر ـ جاءت سحابة، ثم أمطرت بإذن الله تعالى، واشتدّ نزول المطر فأمرنا الشيخ بالرجوع فرجعنا، وفي أثناء رجوعنا كان الليل قد أسبلَ ظلامَه، وكنّا حينما خرجنا قد رآنا بعضُ أهل المزارع عندما مررنا بهم، ويعرِفون أنّ الشيخ معنا.

قال: فأخذوا يوقِدون بعضَ النيران في عسب النخيل حتى نرى طريقنا، فلما رأينا النار اهتدينا إلى مزارعهم فجئنا، وكانت حال الناس في ذلك الوقت في قلة ذات اليد.

---

(١) هو الشيخ أبو عبدالله عبدالرحمن الجلَّال، وهو أشهر طلاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لما كان في مدينة الدلم، وهو لا يزال في الدلم أثابه الله وبارك فيه وفي ذريته.

قال: فأدخلونا في غرفة صغيرة من الطين كانت توضعُ للتبن، وما زالت السماء تُمطِر، فأدخلنا الشيخ، ثم صعدنا مع الشيخ على هذا التبن وجلسنا عليه ننتظر أن يخفّ المطر.

قال: فقال لي الشيخ: يا أبا عبدالله، اقرأ. وهذه كُنية الشيخ عبدالرحمن الجلال أثابه الله. قال: فعجبتُ، كيف أقرأ في هذا الوقت الحرج! ليلٌ ومطرٌ وبُروق!

فقال الشيخ: بما أننا جالسون اقرأ واقرأ من حِزبك.

يقول: فلما قال الشيخ: اقرأ من حزبك، عرفتُ أنّ مراد الشيخ أن أُطيل القراءة.

قال: فقرأتُ من سورة الأعراف، فلما انتهيتُ بدأ الشيخ يشرح ويُفسِّر ودُموعُه تسابق كلماته رحمه الله.

فانظر ـ رعاكَ الله ـ أيّ حرص بعد هذا الحرص؟! ليلة ماطرة وشديدة الظُلمة، ومع هذا كلّه كان يستشعر قيمة الوقت.

ومن الشواهد على حرص سماحته ـ رحمه الله تعالى ـ على إدراك الفضل ومسابقته إلى الخيرات: استغلاله لوقت البُكور وعدم نومه فيه. قال ﷺ: «**اللهمّ بارِك لأمَّتي في بكورها**»[١].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: «مبحث البكور إلى مجالس الحديث»، ثم ساق بإسناده هذا الحديث[٢].

وكذا صنع السَّمعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «أدب الإملاء والاستملاء» وقال: البكور إلى مجالس الحديث[٣].

وعن عليّ بن المديني قال: «قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كلّه؟ قال: بنفي

(١) أخرجه أحمد وأبو داود.

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٨٣).

(٣) «أدب الإملاء والاستملاء» (ص١١١).

الاعتماد، والسير في البلاد، وصبرٍ كصبر الجماد، وبكور كبكور الغُراب»[(١)].

وقد حدّثني الشيخ عبدالرحمن بن جلّال ـ أثابه الله تعالى ـ فذكر بأنّ الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى لا ينام بعد الفجر طيلة مُكثه في الدلم، وذكر الشيخ عبدالرحمن أيضًا بأنّ هذا من عادة الشيخ حتى في الأيام التي لا يكون في صباحها دروس.

(١) «الرحلة في طلب الحديث» (ص١٩٦-١٩٧).

تحضير الشيخ ومراجعته للدرس قبل حضوره

هذا الإمام الفحل العَلَم، كبيرٌ في علمه، كبير في تواضعه، وليس عجبًا إذا رأيته في الدرس يقول: لا أدري، بل والله تكَلّ الآذان من قوله: لا أدري، لا أعلم، تحتاج المسألة إلى تأمّل، سنبحثُها إن شاء الله... عبارات اعتادت الآذان على سماعها منه رحمه الله.

وترى الشيخ في بيته مع أمين مكتبته الشيخ صلاح ـ أثابه الله ـ مُعتكفًا على التحضير وعلى البحث، فهذا كتاب يُقرَأ في الحديث، وهذا كتاب يُقرأ في التفسير، وهذه مسألة من درس البارحة تحتاجُ إلى زيادة إيضاح.

ومما يُلاحَظ على سماحة الشيخ أنه يحرص على سماع البحوث التي يُكلِّف بها، بل قد يطلُب إعادةَ القراءة مرَّتين أو ثلاثًا، بل أحيانًا يسأل الطلبة: من يعرف؟

هكذا هو العالِم الرَّبَّاني، وهذا هو التواضع، وهذا هو الخُلُق الذي كان عليه سلفُ الأمَّة رحمهم الله.

وإنّ المرء ليعجب من شدَّة حرص سماحته على الفائدة والإنصات التام من سماحته عند سماعها وطلبه الاستزادة من القراءة فيما يتعلق بها، بل قد يُكلِّف سماحتُه الباحثَ أو القارئَ بزيادة التتبُّع والاستقراء لأجزائها.

شاهد المقال هنا: أنّ سماحةَ الشيخ قد شارك بلسان الحال الإمامَ الشافعيَّ بلسان المقال عندما سُئل الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ فقيل له: كيف شهوتُك للعلم؟ قال: أسمعُ بالحرف مما لم أسمعهُ فتودُّ أعضائي أنّ لها أسماعًا تتنعَّم به مثل ما تنعَّمت به الأذنان.

فقيل له: كيف حرصُك عليه؟ فقال: حرص الجَموع المَنُوع في بُلوغ لذّته للمال.

فقيل له: فكيف طلبُك له؟ فقال: طلب المرأة المضلّة ولدَها ليس لها

غيرُه[1].

ومما يحسُن إيرادُه في هذا المبحث ـ وهو متعلق بحرص الشيخ على تحصيل الفائدة ـ ما جاء في هذا الخبر:

دعا الشيخُ عبدُالله بن جبرين سماحةَ شيخِنا الشيخ عبدالعزيز بن باز، وكعادة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في كلِّ مجلس يشغل المجلس بالفائدة، وفي ذلك المجلس كان شيخُنا الشيخ عبدالله يقرأ في كتابٍ لابن القيِّم وسماحة الشيخ عبدالعزيز يُعلِّق على القراءة، فمرَّت جُملةٌ استشكلها سماحة الشيخ ولم تتَّضح له، وغلب على ظنِّه أنها سبق قلَم من ابن القيِّم رحمه الله تعالى، فأوضح الشيخ عبدالله بن جبرين مُرادَ ابنِ القيِّم من سياقه تلك الجملة، فسُرَّ سماحة الشيخ عبدالعزيز وقال: هذه فائدةٌ، ثم أمر الشيخ عبدالله أن يُعيد كلامَه ليستفيد الجميع.

ومما يحسُن ذِكرُه هنا أيضًا: ما نقله الذهبي رحمه الله تعالى[2] عن أيوب بن المتوكِّل أنه قال: «كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يُرِه بأنه أفاده، وإن استفاد من أحدٍ شيئًا أراه بأنه استفادَ منه».

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٠٥-١٠٦).

(٢) في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٣١).

عناية الشيخ بصحة الحديث

هذه الخصلة تميَّز بها الشيخ وبزَّ بها علماء عصره، فهو معدودٌ من كبار المحدِّثين، ولقد تميَّزت فتاواه بربطها بالدليل، لا بالدليل فحسب بل بالدليل الصحيح، ويُؤكِّد ذلك معرفتُه بالرُّواة، وتضعيفُه مع ذِكر علّته، ويمكن إجمالُ جهود الشيخ رحمه الله في هذا المبحث في الأمور الآتية:

١- العناية بسماع الأسانيد: إذا بحث الباحث بحثًا للشيخ يمَلُّ بعضَ الأحايين من كتابة الأسانيد وقراءتِها، بينما ترى الشيخ مُصغيًا، وقد يطلُب الإعادة مرَّتين وثلاثًا لبعض الأسانيد، وقد يطلُب إعادة قراءة البحث كلِّه.

٢- الفحص عن الرجال: فكتابا «التقريب» و«الخلاصة» ملازِمان لدرس سماحة الشيخ، لا يكادان ينفكَّان عن درسه رحمه الله.

٣- العناية بتتبُّع الطرق والشواهد والمتابعات.

٤- العناية بذِكر الصحابي والرَّاوي عند الاستشهاد أو الاستدلال بالحديث.

٥- التنبيه على الأحاديث الضعيفة.

٦- استدراكه على غير واحدٍ من المحدِّثين.

ومن هنا ينبغي لطالب العلم أن يعتني بالأحاديث الصحيحة، حيثُ يُعاب على بعض طلبة العلم استشهادُهم بالأحاديث الضعيفة، بل قد يصل في بعض الأحيان إلى الأحاديث الضعيفة جدا، بل قد ترى في كتابات بعضهم أحاديث موضوعة؛ وهذا مما يدُل على التقصير في الطلب.

وقد سُئل بعضُ أهل العلم من أئمة القرن التاسع عن خطيبٍ يرتقي المنبر كلَّ جمعة ويستشهد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأجاب بأنه يجب أن يُنبه من هذا، فإذا لم ينتهِ رُفع أمرُه إلى من بسط اللهُ يدَه حتى يكُفَّه عن التغرير بالمسلمين ونشر الكذب على مسامع الناس في خُطَبه[١].

(١) «الفتاوى الحديثية» (ص٤٣).

صبر الشيخ وجَلَده على البحث

أذكر هنا مثالين عايشتُهما أنا بنفسي يدُلَّان على حرص الشيخ رحمه الله وصبره على البحث، وهما:

الأول: في عام ١٣٩٨ أو ١٣٩٩هـ كلّفني سماحتُه ببحث حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمسُ صلوات فرضهنّ الله**...»، فنقلتُ أسانيد الحديث من عشرين مرجعًا تقريبًا من السنن والمسانيد، فلما أكملتُ البحث وأحضرته إلى سماحته بعد صلاة العِشاء بدأتُ القراءة عليه بعد طعام العَشاء، وفي أثناء القراءة كان يأمُر بقراءة بعض التراجم من كتب الرِّجال.

فلما شارفَتْ عقاربُ الساعة على الثانية عشرة تغشَّاني النعاس فشعر الشيخ رحمه الله بذلك، فاستأذنتُه في الانصراف فأذِن ـ رحمه الله تعالى ـ وقال لي جُملةً كلامية مفادُها: أسهرناك هذه الليلة أو نحوها، وطلب إكمال القراءة في الغد أو بعده.

الثاني: طلب منِّي سماحتُه في عام ١٣٩٨هـ بحثَ حديث «النهي عن الانتعال قائمًا»، وكان سماحتُه قد استمع إلى تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» للألباني[(١)] رحمه الله ، واستعاد الشيخ كلامَ الشيخ الألباني مِرارًا، وكان الذي يقرأ عليه الشيخ خالد الشريمي، وكانت جلسةً منزليةً في دار سماحته بعد العشاء.

شاهد المقال: أنّ الشيخ أراد التثبُّت من اكتمال رجال السند ـ سند ابن ماجه[(٢)] ـ وعدم وقوع السَّقط من الطابع، فطلب سماحتُه إحضار كتاب «سنن ابن ماجه»، فأحضر وقُرئَ عليه، فكان السندُ مطابقًا لما ذَكر الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة»، فأمرني الشيخ بإحضار كتاب «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» للبوصيري فيما أظن، فبحثتُ عنه في مكتبته فلم أعثُر عليه، فأمرني أن أعود

---

(١) الجزء الثاني، حديث رقم (٧١٩).

(٢) هناك مبحث نفيس في تحقيق ضبط لفظ «ابن ماجه» هل يُقال: ابن مَاجَةَ، أو: ابن ماجَهْ. انظر: «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٥٢٠) بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.

للبحث مـرَّةً أخـرى وقـال: إنـه موجـود، ومـع ذلـك لم أعثُـر عليـه لكثـرة الكتـب وتراكُمها.

وقبل انصرافي من منزل سماحته أشار إليَّ الشيخ إبـراهيم الحـصين[1] ـ رحمـه الله تعالى ـ بأنّ الشيخ يريدك، فلمَّا جئتُ إليه أمرني بالذهاب إلى المكتبـة الـسعودية ونقـل إسناد الحديث من النُّسَخ الخطِّية لـ«سنن ابن ماجه»، ثم أمر الشيخ إبـراهيم الحـصين أن يكتُب لي خطابًا موجَّهًا إلى المكتبة لكي أتمكّن من البحث في النُّسخ الخطِّية.

فذهبتُ إلى المكتبة، وأحضروا لي ثـلاث نُـسَخ، وقـالوا: بقيـت رابعـةٌ، فقلـتُ: يكفيني ثلاث نسخ. وبعد البحث وجدتُ إسنادَ الحديث مطابقًا للنـسخة المطبوعـة، فرجعتُ إلى الشيخ وأخبرتُه بما فعلتُ، فأمرني بالعودة إلى المكتبة مرَّةً أخرى والبحـث في النسخة الرابعة ـ وقد أخبرتُ الشيخ عنها ـ كما أوصاني أن أنقُل سماعات النـسخة من آخرها.

وبعد العودة إلى المكتبة طلبتُ النسخة الرابعة، وكانت المفاجأة! وهي أنّ الحديث غيرُ موجودٍ في موضعه في سائر النسخ المخطوطة أو المطبوعة، فجئـتُ إلى سـماحة الـشيخ في منزله بعد المغرب فأخبرتُه بعد إيجادي للحديث في النسخة الخطِّية الرابعـة، فتربَّـع على كرسيِّه وتبسَّم ضاحكًا وقال: «ذلك ما كنَّا نبغِ»، ثم سـألني عـن سـماع النـسخة فأخبرتُه بأنها قُرئت على الإمام الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ فترحَّم الشيخُ عـلى الإمـام الشوكاني...

بكلّ حال؛ أتذكّر أنّ الشيخ أعلّ الحديث في «سنن ابن ماجه» من جهة عـلي ابـن محمد الذي يرويه عن وكيع، وذكر لي الشيخ أنّ وكيعًا إمامٌ مشهورٌ وطُلابُه كُثر، ومـع

---

(١) هو الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحصين، رجلٌ فاضلٌ، طلقُ الوجه، دمث الأخلاق، لازمَ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله للكتابة له منذ قدومه المدينة أوائل عام ١٣٨١هـ وبعد انتقاله إلى الرياض إلى أن تُوفي رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ، أي: قبل وفاة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله بعشر سنوات تقريبًا.

هذا لم يروِ هذا الحديث عنه إلَّا علي بن محمد وليس من طُلاب وكيع المشهورين.

هذا ما يحضُرني من فحوَى كلام الشيخ حول هذا الحديث(١).

والذي أريد أن أقولَه هنا: إنّ إعلال الشيخ لطريق ابن ماجه بسبب تفرُّد علي ابن محمد عن وكيع إعلالٌ وجيه، وهذا المأخذ يُعلّ به السند عند أهل العلم.

مثال ذلك: ما رواه الترمذي من طريق شريك بن عبدالله النخعي عن أبي إسحاق عن عطاء بن أبي رباح عن رافع بن خديج ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زرع في أرض قومٍ بغير إذنهم فليس له من الزَّرع شيءٌ، وله نفقتُه**».

قال الحافظ ابن حجر: «وتفرَّد شريكٌ بمثل هذا الأصل عن أبي إسحاق مع كثرة الرُّواة عن أبي إسحاق؛ مما يوجب التوقُّف عن الاحتجاج به...»(٢).

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: «وأما الغريب من الحديث ـ كحديث الزُّهري وقتادة وأشباههما من الأئمة ممَّن يُجمَع حديثُهم ـ إذا تفرَّد الرجُل عنهم بالحديث يُسمَّى غريبًا»(٣).

وقد نصَّ على هذا الإمامُ مسلمٌ رحمه الله في مقدمة «صحيحه»، ومثَّل بالزهري وهشام بن عروة وأنهما من الشهرة والرِّواية وكثرة الأصحاب بمكان، ولو روى عنهما أحدٌ حديثًا لا يعرفه أصحابُهما فغيرُ جائزٍ قَبولُ حديث هذا الضرب من الناس(٤).

ومن جَلَد الشيخ رحمه الله ما نقله بعضُ تلاميذه، حيث قال: جلس الشيخ

---

(١) للحديث شاهدٌ عند ابن ماجه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، كما ذكر ذلك الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ في «السلسلة»، والذي جرى البحث فيه من الشيخ هو حديث ابن عمر، ولعل الشيخ ـ والله أعلم ـ لم يرتض إسناد أبي هريرة بسبب عنعنة الأعمش.

(٢) «النفح الشذي» (١/ ٢٠٣).

(٣) «النفح الشذي» (١/ ٣٠٧).

(٤) مقدمة «صحيح مسلم» (ص٧) مختصرًا.

ساعتين ونصفًا في درس يوم الخميس، وفي نهاية الدرس قال سماحتُه: «لولا الأشغال الأخرى لجلسنا مع الإخوان حتى الظهر».

وسُئل عن أحسن كتاب قرأه فقال: «شرح النووي على مسلم»، وذكر الناقل أنّ الشيخ قال: «قرأتُه أكثر من ستين مرَّةً».

وهذه الهمَّة تُذكِّرُنا بما ذكره الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة عبدالغافر بن محمد النيسابوري، فقد جاء في ترجمته أنّ الحسن بن محمد السمرقندي الحافظ قرأ عليه «صحيح مسلم» نيِّفًا[١] وثلاثين مرّةً، وقرأه عليه أبو سعيد البَحِيري نيِّفًا وعشرين مرّةً، هذا سوى ما قرأه عليه المشاهير من الأئمة[٢].

وذكر ابن بشكوال في «كتاب الصلة» في ترجمة غالب بن عبدالرحمن المحاربي أنه كرّر «صحيح البخاري» سبعمائة مرّةً[٣].

ومثل هذا أيضًا ما ذكره صاحب «ذيل طبقات الحنابلة»: أنّ عبدالله بن محمد فقيه العراق طالع كتاب «المغني» لابن قدامة ثلاثًا وعشرين مرَّةً[٤]، والإمام المزني كان قد قرأ كتاب «الرِّسالة» للشافعي خمسين مرَّةً[٥]، والحرّ بن عبدالرحمن قال عن نفسه: طلبتُ إعرابَ القرآن ٤٥ سنةً[٦].

وكذا ما ذكره ابن عبدالهادي عن شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه سمع «مسند الإمام أحمد» مرَّات، وسمع الكتُب الستّة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته «معجم الطبراني الكبير»[٧].

---

(١) النيِّف: من واحدة إلى ثلاث. «القاموس المحيط» (٣/ ٢١٠).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٠).
(٣) «الصلة» (٢/ ٤٥٨).
(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤١١).
(٥) مقدمة تحقيق «الرسالة» للشافعي (ص٤).
(٦) «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/ ٨٢).
(٧) «العقود الدرِّية» (ص٣).

حفظ الشيخ وضبطه

وممَّا تميَّز به سماحة شيخنا رحمه الله: الحافظة العجيبة والاستحضار السريع، وإذا أردتَ مصداق ذلك فاستمع إلى سرده للآيات والأحاديث التي يستشهد بها في محاضراته وندواته، ولو أدركه الإمام الذهبي أو علِمَ عنه لترجَمَ له في كتابه «تذكرة الحفاظ».

وقد حصلت لي قصة مع الشيخ في ذلك، وهي وإن كانت عليَّ فأرجو أن يكون هذا من أمانة النقل، وقد يكون ذلك من الطرافة المليحة.

ويحسُن قبل ذلك ذِكر ما رواه البخاري في «الصحيح» عن محمد بن المنكدر قال: «صلّى جابرٌ رضي الله عنه في إزار قد عقدَه من قِبَل قفاه وثيابُه موضوعةٌ على المشجب، فقال له قائل: تُصلِّي في إزار واحدٍ؟ فقال جابر: ليراني أحمق مثلك!»[١].

الشاهد: أنّ محمد بن المنكدر قد ذكر ما عليه، وهذا من أمانة النقل.

وبعد هذا أسوق الشاهد: كنتُ أقرأ على الشيخ سندًا أظنُّه في كتاب «التاريخ الكبير» للبخاري، وكان من ضمن رجال السند رجُلٌ اسمُه صدقة بن صالح، وطلب الشيخ الاستزادة من ترجمة صدقة بن صالح، ثم قال: ابحث لي عمَّن اسمُه صدقة، فقلبتُ الصفحات فوقعتْ عيني على صفحة فيها: «صدقة الثوري»، فقال: اقرأ، فقرأتُ والشيخ رحمه الله يتبسَّم، وكان رحمه الله يحاول أن يجعلني أوافق الصواب، فقال: سبحان الله! أعِدْ، فقلتُ: صدقة الثوري، فقال: اللهمَّ اهده، تأكَّد.

وفي تلك الحال ظننتُ أنّ الشيخ يردّ عليَّ نحوًا وأنا ضعيف في النحو، فقلت: يا شيخ، صَدَقَة الثوري. فقال: هداك الله، صَدَّقَهُ الثوري.

وفي هذا نلحَظُ أدبًا جما من سماحة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في حُسن تعليمه، فعندما يقع القارئ في خطأ نحويّ أو إملائي لا يَرُدّ عليه مباشرةً بل يأمُره بالإعادة،

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٥٦) حديث رقم (٣٥٢). قال ابن حجر: وقال في جواب ابن المنكدر: «فأحببت أن يراني الجهال مثلكم».

فإن تنبَّه القارئ للخطأ بنفسه وإلا بيَّنه له.

ومن ضبط الشيخ وحِفظِه أني سألتُه ذات مرَّة في درس قديم فقلت: يا شيخ، حديث ذكره الحافظ في «بلوغ المرام»، وهو: «**نعم الأجر يؤخَذ على القرآن**»، فسكت فقال: ليس في «البلوغ».

فقلتُ: يا شيخ، أنا قرأتُه في «البلوغ»، فمكثَ يُفكِّر ثم قال: ليس في «البلوغ».

فأشار إليَّ أحدُ الإخوة أنّ الشيخ مصرٌّ، فقلت: يا شيخ، أنا قرأتُه.

فقال: أحضِره غدًا معك. وكان ذلك الدرس يوم الخميس.

فأخذتُ أُقلِّب «البلوغ» صفحةً صفحة ولم أعثُر عليه، وبعد مُضيّ مُدّة أقدِّرُها بأربعة إلى خمسة أشهُر وجدتُ الحديث في «البلوغ»، فأتيتُ إلى الشيخ وقلت: يا شيخ أحسن الله إليك سألتُكم عن حديث وذكرتُ لك أنه في «بلوغ المرام» ونفيتُم ذلك، وهو الآن معي.

فقال: اقرأ. فقلتُ: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أحقّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتاب الله**»، قال: نعم، لكن أنتَ سألتَ عن لفظ: «**نعمَ الأجرُ يؤخَذ على القرآن**»، أما هذا الحديث فهو في البخاري في حديث الرُّقية.

ومن ضبط الشيخ العجيب أنه قُرِئ عليه هذا السند ـ وانظر كيف استدرك الشيخ على القارئ ـ قال القارئ: قال الدارقطني: أخبرنا نصر بن علي، حدثنا عبدالأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن الأغر أبي عبدالله صاحب أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يومُ الجمعة...**»، ثم ذكر تقريب الدجاجة والبيضة... إلى آخر الحديث.

فاستعادَ الشيخُ القارئ مرَّةً أخرى، فقال القارئ: قال الدارقطني: أخبرنا نصر بن علي... ثم ساق السندَ مرَّةً أخرى، ولم يرتضِ الشيخ هذا النقل، فقال الشيخ: ما أظنّ، ما أدرك نصر بن علي، لعله سقط منه شيخ الدارقطني، فقال القارئ: نعم يا شيخ، الدارمي وليس الدارقطني، قال: نعم.

فانظر إلى دقة الحفظ وضبط العلم.

ومن حفظ الشيخ رحمه الله أنّ حديثًا في «طبقات ابن سعد» أشكل على بعض الإخوة، وكان السند فيه رجُلٌ منسوبٌ إلى الجد الثاني: فلان بن فلان بن فلان، يعني وصل النسب إلى الجد الثاني.

وبعد البحث المضني من بعض الإخوة لم يعثُروا عليه، فسألوا سماحةَ الشيخ فقال رحمه الله: «بن» الثانية صوابها «عن»، فيكون هذا الاسم راويين وليس راويًا واحدًا.

ومن هذا القَبيل ما جاء في «تعجيل المنفعة»[١] في ترجمة عمرو بن حبيب الأسلمي، قال الحافظ رحمه الله: لا وجود له، ثم صوَّب وقال: أخبرني عمرو ابن حبيب الأسلمي، فتصحَّفَت «عن» إلى «بن».

ومن حفظ الشيخ رحمه الله أنّ أحدَ الإخوة كان يقرأ عليه سندًا فقال: عن جويرية به، فقال الشيخ: صوابه «عن جرير به».

وأخبرني أحمد ابن الشيخ قال: كنتُ أقرأ على والدي فإذا انتهت القراءة أو وقفت السيارة فأحيانًا من العجلة أنسى رقم الصفحة، فإذا رجعنا قال الشيخ: افتح، فأقول: نسيت رقم الصفحة، فيقول الشيخ: صفحة كذا.

وأخبرني أحمد أيضًا أنّ الشيخ رحمه الله كان يضبط الأرقام بالمصطلح المعروف في العدد «حساب الجُمَّل»[٢]، وهذا المصطلح معروفٌ عند القدامى.

ولقد ذكر الدكتور محمد الشويعر ـ أثابه الله تعالى ـ أنّ الشيخ عبدالعزيز رحمه الله

---

(١) (ص٣٠٩).

(٢) وهذا المصطلح يُراد به ما يُقابل الحروف الأبجدية من الأرقام، ولزيادة الإيضاح إليك الحروف مع ما يقابل كل حرف من الأرقام:

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

مرَّ عليه حديثٌ في إحدى الكلمات التي سمعها فطلب منه أن يبحث الحديث، وبعد البحث المضني لم يعثُر عليه، فقال الشيخ رحمه الله: بعض المحدِّثين يضعون الحديث في غير مظنّته، ثم قال: أحضر كتاب «الإيمان» للشيخ محمد بن عبدالوهاب. قال: فأحضرتُه، ثم قال: افتح صفحة كذا، وحدَّدَ رقمَها ثم قال: اقرأ سطر ١٢. قال: فوقعتُ على الحديث بعينه! ثم قال: انظر إلى الهامش: فوجدتُ هامشًا يُحيل إلى «سنن النسائي». ثم قال الشيخ: كتاب «الإيمان» آخِر مرَّة قرأتُه منذ ٤٠ عامًا، وحدّد سماحتُه اسمَ القارئ عليه، وهو صالح بن حسين.

وممَّا يدُل على حفظ الشيخ وضبطه:

سرعة استحضاره للأدلة

أ- أذكرُ مرَّةً أنّ مسألةً علميةً اختلف فيها بعض طلبة العلم والمشايخ في الرِّياض، وهي مسألةُ السلام على الإمام عقب الصلاة، فقال بعضُهم: إنهم بحثوا عن أصلٍ لهذه المسألة فلم يجدوا.

ثم سُئل سماحتُه، فأجاب أنّ ذلك له أصلٌ في الصحيحين في قصة توبة كعب ابن مالك رضي الله عنه عندما قال: «كنت آتيه في مصلَّاه الذي صلّى فيه فأُسلِّم عليه فلا أدري أردَّ عليَّ السلام أم لا»، وذكر كذلك حديثَ المسيءِ صلاته، وهو في الصحيحين[١].

ب- سأله أحدُهم: هل «المعطي» من أسماء الله تعالى؟

فأجاب من فوره: نعم، حديث: «**إنما أنا قاسمٌ والله يُعطي**»[٢].

جـ- تشرّفتُ بتقديم لقاء مفتوح مع سماحته، وقبل بدء التقديم طلبتُ منه أن يكون الكلام ـ إذا أذِن ـ عن تغيُّر السُّنن الكونية؛ لأنّ الوقت كان على أبواب الشتاء، وبعد أخذ موافقته ذكرتُ في المقدّمة خمسة أدلّة أو ستة كنتُ قد اجتهدتُ في إعدادها، فلما فرغتُ سرَدَ الشيخُ ضِعفَ العدد الذي ذكرتُه.

د- نقل أحدُهم مقولةً عن بعض أهل العلم مفادُها: «لو لم نُخبَر بختام النبوة لقُلنا: إنّ ابنَ تيمية نبيّ»، فعُرِضت العبارة على بعض أهل العلم فبالغَ في إنكارِها، وعرضتُها بنفسي على سماحته ـ رحمه الله تعالى ـ فتبسَّم ضاحكًا وقال ما معناه: نعم، لذلك أصلٌ.. ثم ذكرَ حديث: «**لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطاب**»[٣].

---

(١) قال الشيخ عبدالمحسن العباد البدر: «ينظَر في هذا الدليل؛ لأنه لا يظهر مطابقته للسلام على الإمام عقب الصلاة».

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه أحمد والترمذي.

تطبيق الشيخ العملي للسنة ونشر العلم

كان الشيخ رحمه الله يهتمُّ بإحياء السنن، فالذي يجلس معه في بيته أو في درسه وهو مهمل لبعض السنن سُرعانَ ما يتأثّر إذا رأى محافظةَ الشيخ عليها والمواظبةَ على تطبيقها، يتأثّر من ذلك الرَّائي والسامع.

ومن تلك السنن التي أهملها الكثير من الناس:

١ - متابعة المؤذِّن، فالشيخ رحمه الله إذا أذَّن المؤذِّن يقطع الكلام، سواء كان الكلام هاتفيا أم محادثةً لمن حوله، يفعلُ ذلك ليتفرَّغ لسماع المؤذِّن، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» عن ابن جريج رحمه الله أنه قال: «حدثت أنّ الناسَ كانوا يُنصِتون للمؤذِّن إنصاتَهم للقراءة، فلا يقول شيئًا إلا قالوا مثلَه»[١].

٢ - وحدّثني سعد الداود[٢] قال: خدمتُ الشيخ أحدَ عشر عامًا وحفظتُ من عمله وتطبيقه سُننًا كثيرةً... ثم ذكر مثالًا يتعلق بلبس اليمين عند التنعُّل.

فقال: في زحمة الشيخ وبعد الفراغ من المحاضرة ومع كثرة السائلين وتوافُد الناس عليه، تعمَّدتُ فوضعتُ نعلَه الشمال عند قدمه الشِّمال، قال: فبدأ يرفعُ قدَمه اليمين يبحثُ عن نعله اليمين، قال: فوضعتُ الشمال مرَّةً ثانيةً، فبحث الشيخ عن اليمين، وفي المرة الثالثة رأيتُ الشيخ يطأُ النعل الشِّمال بشِماله ثم بحث عن النعل اليمين حتى يبتدئ بلبسها.

٣ - وأخبرني ابنه أحمد في ذِكر مرض الشيخ الأخير فقال: كان رحمه الله إذا خلع الجورب الذي يرتديه بدأ بالأيسر تطبيقًا للسُّنة حتى في مرض الموت رحمه الله.

٤ - وكذلك رحمه الله كان يبدأ باليمين في لبس المشلح.

٥ - سُنَّة القدوم من السفر والبدء بصلاة ركعتين: حدثني الشيخ عبدالرحمن بن جلال قال: إنّ الشيخ رحمه الله قدم الدلم عصر يوم الخميس في شهر شعبان عام ١٣٥٧هـ،

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ١٠٩).

(٢) سعد الداود هو رئيس الحرس الخاص بسماحة الشيخ رحمه الله.

وكان في استقباله أمير الدلم رحمه الله ومعه بعضُ الأعيان وجمعٌ من الناس.

فلما قدِم الشيخ ونزل من سيارته دعاه القائم على شؤون البلد إلى تناول القهوة، فقال: أين المسجد؟ دُلوني على المسجد. قال: فبدأ فصلّى ركعتين.

ولم يزل رحمه الله مُحافِظًا على هذه السنَّة حتى مات رحمه الله.

٦- مُداومتُه رحمه الله على لعق الأصابع بعد الفراغ من الطعام؛ لحديث: «**إذا أكل أحدُكم طعامًا فلا يمسح يدَه بالمنديل حتى يَلعقها أو يُلعِقها**»[١].

٧- وأخبرني أمين مكتبته ـ الشيخ صلاح أثابه الله ـ أنّ الشيخ رحمه الله كان إذا صلى إمامًا في فجر يوم الجمعة يقرأ بـ«السَّجدة» و«الإنسان»[٢].

٨- عند نزول المطر كان الشيخ رحمه الله يحسُر عن رأسه، فذاتَ مرَّة أخبروه أنّ السماء تُمطِر، فحسر عن رأسه من السيارة إلى دخول الجامع، وكذلك فعل عند مشيه من بيته إلى المسجد والمطر ينزل مع قوله: اللهمَّ صيِّبًا نافعًا.

وهذه السنَّة قد وردت في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطرٌ، قال: فحسَرَ رسول الله ﷺ ثوبَه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسولَ الله، لِمَ صنعتَ هذا؟ قال: «**لأنه حديثُ عهدٍ بربِّه تعالى**»[٣].

وفي كتاب «أخلاق النبيّ ﷺ»[٤] لأبي الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابُه يكشِفونَ رؤوسَهُم في أوَّل قطرةٍ تكون من السماء في ذلك العام، ويقول رسول الله ﷺ: «**هو أحدَثُ عهدٍ بربِّنا وأعظمه بركةً**».

٩- المحافظة على الدعاء بين الأذان والإقامة، قال سعد الداود: وصلى سماحة الشيخ

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) وعند الطبراني زيادة أنّ النبيَّ ﷺ كان يُديم ذلك، لكن هذه الزيادة ضعيفة.

(٣) «صحيح مسلم»(٢/ ٦١٥).

(٤) (ص٢٦١).

مرَّةً ركعتين، فلما أردتُ سؤالَه قال: يا سعد، الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُـردّ. وهذا العمل من سماحته تمثّلًا لحديث: «**لا يُرَدّ الدعاء بين الأذان والإقامة**»(١).

١٠- وقد بلغني أنّ أحدَ الناس أهدى له وأكثر، وكان من ضمن الهدية طيـبٌ فأخـذ الطيبَ وردَّ الباقي؛ لما رواه أنسٌ: «أنّ النبيَّ ﷺ كان لا يَرُدّ الطيب»(٢).

١١- أنه كان يحرص في سفره أن يكونَ ذهابُه يومَ خميس؛ لما ورد في ذلك عن النبيِّ ﷺ، كما أخرجه البخاري(٣)، وقد كان سفرُه الأخير رحمه الله من هذه الدنيا يومَ الخميس.

١٢- [ومن حرص الشيخ على إحياء السنّة التي أهملها كثيرٌ مـن النـاس مـا حـدّثني الشيخ سليمان الهديب أثابه الله تعالى: أنه في حجّ عـام ١٤٠٩هــ مـرض معهـم أحدُ الإخوة فلم يرمِ جميع الأيام، فاستفتى فأُفتي بأن يرمي الجميع قضاءً مبتـدئًا بالعقبة أولًا في يوم العيد ثم يعود فيرمي الصغرى ثم الوسطى ثم الكـبرى عـن اليوم الحادي عشر، ثم يعود لليوم الثاني عشر، ثم يعود لليوم الثالث عشر.

قال محدِّثي الشيخ سليمان: كنت مرافقًا لأخينا المريض، فلما كان في اليوم الثالـث عشر بدأنا بالعقبة عن يوم العيد ثم اتّجهنا إلى الصغرى لنبـدأ قـضاء رمـي اليـوم الحادي عشر فرأينا سماحة الشيخ ابن باز يدعو رافعًا يديه متقـدّما الجمـرة جهـة اليمين، فقضينا رمي الحادي عشر ودعونا عند الصغرى ثم الوسطى ثـم رجعنـا لقضاء رمي اليوم الثاني عشر ثم رجعنا لرمي اليوم الثالث عشر والشيخ مـا زال في مكانه].

١٣- وممَّا يدخل في ذلك إجاباتُه رحمه الله للمستفتين المقرونة بالفعل ليتّضح للـسائل الكيفية.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١١٩، ٥٥)، والترمذي برقم (٢١٢) في الصلاة.

(٢) «صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٣- الفتح).

(٣) «كان يحبّ أن يخرج إذا غزا يومَ الخميس». هذا لفظ البخاري، وعند الطبراني وغيره: «كان يستحبّ أن يسافر يوم خميس».

قال البخاري رحمه الله: باب من صلى بالناس وهو لا يُريد إلا أن يُعلمهم صلاة النبيِّ ﷺ وسُنَّته، ثم ساق بإسناده حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه عندما قال: «إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، أصلي كيف رأيتُ النبيَّ ﷺ يُصلّي»[١].

والشيخ رحمه الله يهتمّ بالتطبيق العملي في نشر العلم والسنَّة، فمرَّةً سأله سائل عن كيفية مسح الرأس وكان في المسجد، فأزال الشيخ ما على رأسه ثم أراه كيفية مسح الرأس باليدين.

وسأله آخر عن كيفية وضع اليدين في القيام في الصلاة، فوضع الشيخ يدَه اليمنى على اليُسرى ووضعهما على صدره وقال: هكذا.

(١) «فتح الباري» (٢/ ١٦٣).

تجرّد الشيخ في مقولة الحق

هذه الصفة من أعظم الصفات التي تميَّز بها سماحتُه، فإذا تبيَّن له الحق أفتى به بعلم وبحكمة لا يتردَّد في قول ما يَدين اللهَ تعالى به بغضّ النظر عن الآخَرين.

والعجب أنّ بعض الناس يتحاشى ذِكر الحقّ مُراعاةً لكثرة رصيده من الناس! أو مُراعاةً لمصلحة خاصة يرجوها، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**من أرضى اللهَ بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله سخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس**»(١).

وطالب العلم الذي يجعل نصب عينيه وفي سُوَيداء قلبه هذا الحديث يُوفِّقُه الله ويرى بوادر التوفيق الإلهي، شريطةَ أن يتكلم بعلم أو يصمُت بحِلم.

وهنا تُذكَر مسألتان اثنتان اعتُرِض على الشيخ فيهما وكثُر الردّ عليه، وهو كالجبل الأشمّ؛ لأنه يَدين الله تعالى بهذا الاختيار.

المسألة الأولى: إفتاؤه بجواز استقدام القوات الأجنبية، فقد أفتى الشيخ بذلك وهو يرى أنّ ذلك من الحقّ، واعترض عليه من اعترض ومع هذا كلّه لم يُحرِّك ساكنًا عنده ولم يُسكن متحرِّكًا، فكان كما قال القائل:

ولو رجم النجمَ جميعُ الورى ... لم يصل الرَّجمُ إلى النجم(٢)

والمسألة الثانية: إفتاؤه بجواز الصلح مع اليهود، فكم تكلّم المعترِضون وكتبوا... لكن العالم الرَّباني يتبع الدليل الشرعي ويتكلم بعلم، فإذا رأى الحقّ وتبصّر بالعلم الشرعي على منهج سلف الأمة قال به ولو اعترض من اعترض.

وقد سأل بعضُ المشايخ أو طلبة العلم سماحةَ الشيخ عن سبب محبَّة الناس له على رغم اختلافهم فيما بينهم، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: «لا أعلمُ شيئًا إلا أني

(١) رواه الترمذي وغيره.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٦٢).

بحمد الله منذُ عرفتُ الحقّ في شبابي وأنا أدعو إليه وأصبر على الأذى في ذلك، ولا أُحابي في ذلك أحدًا، ولا أُداهن في ذلك أحدًا، أقول الحقّ وأصبر على الأذى فإن قُبِلَ فالحمد لله، وإن لم يُقبَل فالحمد لله.

هذا هو الطريق الذي رسمتُه لنفسي مشافهةً ومكاتبةً، قبِلَهُ من قَبِله وردَّه من ردَّه، ما دُمتُ على بصيرة، ما دُمتُ على علم فيما أعتقد فأنا أقول وإن خالفني من خالفني من الناس، فلهم اجتهادُهم والله ـ جلّ وعلا ـ يُعطي المجتهد أجرين إن أصاب وأجرًا واحدًا إن أخطأ.

فلا أعلمُ سببًا إلّا هذا السَّبب، إني أقول الحقّ ـ بحمد الله ـ حسب طاقتي، وأنشُره قولًا وعملًا، ولا أعتب ولا أُذيعه إذا قدرت، بل أدعو له بالتوفيق والهداية. هذا هو طريقي مع الملوك ومع غير الملوك»(١).

إنّ هذا الكلام من سماحته رحمه الله يُذكِّرُنا بما ذكره الإمام ابن رجب في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» في ترجمة محمد بن الخضر بن تيمية، حيث قال: «... فإنني إذا كنتُ مع رسول الله ﷺ في حزبه متَّبعًا لسُنَّته ما أُبالي من خالفني ولا من خالف فيَّ، ولا أستوحش لفِراق من فارقني، وإني لمعتقد أنّ الخلق كلّهم لو خالفوا السنة وتركوها وعادوني من أجلها لما ازددتُ لها إلا لزومًا، ولا بها إلا اغتباطًا إن وفقني الله لذلك، فإنّ الأمور كلّها بيديه وقلوب العباد بين إصبعيه»(٢).

---

(١) «مواقف مضيئة» (ص٢٥-٢٦).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥٤).

تعظيمه للنصوص الشرعية

ما أجمل ما ذكره ابنُ القيّم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «الوابل الصيِّب» في علامات تعظيم النصوص، حيث قال:

«الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإنّ الله تعالى ذمَّ من لا يُعظِّمُه ولا يُعظّم أمرَه ونهيَه. قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[(١)].

قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظَمة.

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام[(٢)] في تعظيم الأمر والنهي: هو أن لا يُعارَضا بترخيص جاف، ولا يُعارَضا بتشديد غالٍ، ولا يُحمَلا على علّة توهن الانقياد»[(٣)].

ثم قال ابنُ القيِّم رحمه الله مبيِّنًا لمعنى كلام الإمام الهروي:

«ومعنى كلامه: أنّ أولَ مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيمُ أمره ونهيه؛ وذلك لأنّ المؤمن يعرف ربَّه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتِّباعه وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحَّة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر»[(٤)].

وممّا تميَّز به سماحتُه رحمه الله في دروسه ومحاضراته وكتاباته: تعظيمُه للنصوص الشرعية والوقوف عندها، والأخذ بالدليل متى صحّ، وعدم الالتفات إلى ما سواه

(١) نوح: ١٣.
(٢) هو أبو إسماعيل الهروي.
(٣) «الوابل الصيِّب» (ص٢٥).
(٤) «الوابل الصيِّب» (ص٢٥-٢٦).

من مذهب أو عادةٍ أو اشتهار أمرٍ، ولله درُّه فكم أحيى الله به سُننًا وأمات به بدعًا وأزال به جهلًا.

وكم رأينا وسمعنا من الشيخ أمثلةً كثيرةً على ذلك، فإذا ثبت الدليل أخذ به رحمه الله، وكثيرًا ما يحسم النقاش بوصول الدليل إليه، بل يغضب أحيانًا، وقد يضطرّ إلى زجر السائل إذا زاد في سؤاله عن الحدّ المطلوب الذي جاء به الدليل، ومما يدُلّ على تعظيم الشيخ رحمه الله للنصوص الشرعية:

١- قال سعد الداود: حضر سماحة الشيخ من الطائف إلى الرياض، واستقبلناه في المطار يوم الخميس، ثم ذهبنا مباشرة إلى الجامع ليتولى التعليق والإجابة عن الأسئلة بعد الندوة.

وعندما خرج من الجامع أخرج ورقةً من جيبه، قال سعد: فقرأتُها فإذا فيها دعوة زواج والقصر بعيد، فقلت: يا شيخ، أنتَ مُتعَب وتحتاج إلى الراحة، فلو ألغيتَ ذلك الموعد. فسأل الشيخ الجنود: أحدٌ منكم يعرف القصر؟ قال سعد: وفرحتُ أنّ الشيخ ما سألني لأني أعرف القصر، فقال الجُنود: لا نعرفه.

فقال الشيخ: سعد، تعرف القصر؟ قلت: نعم، فقلت: يا شيخ، أنتَ قادم من سفر وتحتاج إلى راحة. فقال: ماذا أقول لربِّي وقد قال رسول الله ﷺ: «**من دُعي إلى عُرس أو نحوه فليُجب**»[1]، استعن بالله. فذهب الشيخ ولبَّى دعوة الداعي.

٢- جاء رجل فقال للشيخ: يا شيخ عبدالعزيز. قال: نعم. قال: أنتَ تقول بأنه ينبغي أو يجب أن يحضُر الإنسان دعوة الزواج. قال: نعم، إذا لم يكن فيها منكَر ولم تكن على موعد سابق. فأعاد على الشيخ فقال الشيخ له: لا بُدّ أن تحضر، احضُر. قال: وإذا ما حضرت؟ فألزمه الشيخ وقال: احضُر. قال: يا شيخ، يعني إذا لم يكن فيها منكَر ولم أكن مرتبِطًا بموعد سابق أحضُر؟ قال: نعم. قال: يا شيخ، أنا أدعوكَ

---

(١) رواه مسلم.

غدًا إلى زواج ولدي.

ففوجئ الشيخ! فسأل من كان معه فقالوا: ليس عندك موعد، فقال: نحضُر إن شاء الله.

فانظر إلى اتباع الشيخ للحقّ، فما دام أنه ثبت النصّ الشرعي وفي ذلك قُربة أخذ به، ولو أنه وقع لبعض الناس مثلُ هذا فقد يأنف ويقول: لا، أنتَ استدرجتني! ثم لا يذهب.

٣- دعا أحدُ السُّفراء الشيخَ إلى الإفطار في رمضان، فأفطر مع جمع من الضيوف، ثم لما أراد الصلاة قال صاحبُ الدعوة: نُصلّي في البيت جماعةً يا شيخ. فأطرق الشيخُ ثم ضرب بعصاه الأرض ونهض قائلًا: «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاةَ له إلا من عُذر»(١)، قوموا فاذهبوا إلى المسجد، فقام القومُ كلّهم وصلوا جماعةً في المسجد.

٤- تخطئة المخالف للحقّ ولو كان المخالف من كان، بل إنه يُخطِّئُ بعض المادحين له في شِعرهم وكلامهم ويرُدّ عليهم إن كان حاضرًا مشافهةً، وإن كان غائبًا مكاتبةً، وقد اشتهر ذلك عن سماحته رحمه الله تعالى، فقد كان يُقاطع الشاعرَ أحيانًا إذا كان في شِعره مخالفةٌ للصواب ويُبيِّن وجهَ الخطأ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان.

التثبت في نقل الأخبار

كان سماحتُه مثالًا يُحتذى بـه، والأصـل عنـده أنـه يحمـل النـاس عـلى المحمَـل الحسن، ويتثبَّتُ إذا بلغه خبر، وهكذا ينبغي أن يكـون مـنهجُ طالـب العلـم، وأن لا يصدِّق كلّ خبر يسمعه، فهو قدوةٌ وكلامُه يؤخَذ به، وقد يُدان به، فليحـرص طالـبُ العلم وليجعل نصب عينيه قولَ الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [(١)].

ومن تثبُّت الشيخ رحمه الله في الأخبار:

١ - أنه دخل عليه رجُلٌ في مجلسه وفيه رائحةُ دُخان، فجاء أحدُ الناس وقال: يـا شيخ، هذا رجُلٌ مُدخِّن ثيابُه فيهـا رائحـةُ الـدخان، فقـال الـشيخ: لعلـه ركِـب مـع شخص مُدخِّن، لعله جلس مع أحد فأثرت رائحةُ ذلك المُجالِس فيه...

وهذا المثال يُعطي انطباعًا عظيمًا عن حُسن ظنّ الشيخ بالمسلمين.

٢ - إذا سأله سائلٌ وبخاصة إذا نقل له كلامًا عـن آخـر ـ كزوجـة عـن زوجهـا والعكس ـ أجاب بما معناه: إن كان الواقع كما ذُكِر...

٣ - سُئل مـرَّةً عـن رجـل يُعـالج بـالرُّقى الـشرعية، وذُكِـر لـه أنّ عليـه بعـضَ الملحوظات، فأمر السائل بالكتابة عن ملحوظاته حتى يسأل الشيخُ عنه ويتأكد.

(١) الحجرات: ٦.

وضوح كلام الشيخ وعدم التكلف في اللفظ

عندما تقرأ بعض الكتب أو تسمع بعض المتكلِّمين فإنك تحتاج إلى قاموس لحلّ غامضها وكشف خفيِّها، وهذا النهج يتعسَّر من خلاله الحصولُ على الفائدة، وكان كلام النبيِّ ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان رسولُ الله ﷺ يسرِدُ كسردِكُم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بَيِّن فصل، يحفظُه من جلس إليه»[(١)].

قال بعضُ شُرَّاح الشمائل: «أي: ظاهر مفصول ممتاز بعضُه من بعض بحيث يتبيَّنُه من يسمعُه ويمكنُه عدُّه، وهذا أدعى لحفظه ورُسوخه في ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبيِّنه بيانًا تاما بحيث لا يبقى فيه شبهة»[(٢)].

وكلام الشيخ عبدالعزيز رحمه الله يفهمُه العامي والمتعلِّم، ويفهمُه الصغير والكبير، كلامُه في منتهى الوضوح لا غُموض فيه ولا تكلّف ولا تشدُّق، فالذي يسمعُ محاضراتِ الشيخ ودروسَه ومواعظَه وإجاباتِه يرى مصداقَ ذلك، وهذا هو الأنفعُ للناس؛ لأنه بهذا تكون الفائدة مُشَاعةً لجميع المسلمين والمستفيدين، ولا تتمّ الفائدة إلا بوضوح أسلوبها.

وما أجمل ما ذكره الذهبي في «السِّيَر» عن الأصمعي رحمه الله أنه قال: «كنتُ إذا سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننتُه لا يعرفُ شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلًا»[(٣)].
ومن أبو عمرو هذا؟! إنه شيخ القُرَّاء والعربية.

---

(١) «الشمائل» للترمذي (ص١٨٦).
(٢) «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» (ص١١٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠).

تورّع الشيخ في الفتيا وقوله: لا أدري

تقدّم شيءٌ من الأمثلة على ذلك، وهذا هو منهجُ كبار العلماء، وهو منهجٌ أسَّسه وأصَّله نبيُّنا محمدٌ ﷺ فيما جاءه عن ربِّه عزوجل: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١]، وعلى هذا المنهج سار الفحول من أهل السنَّة عليهم رحمة الله.

وقد قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله تعالى: كان رسولُ الله ﷺ إمامَ المسلمين وسيِّد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يُجيبُ حتى يأتيه الوحي من السماء[٢].

وقد نُقل في هذا الباب أخبارٌ كثيرةٌ عن السلف وأتباعهم في قول «لا أدري» والتوقّف في الجواب، ومن ذلك:

١- ما ذُكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حينما عَرَض عليه ابنُ كثير أثـرًا عن عليّ رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم ﴾[٣] فاستشكله وتوقّف فيه.

٢- توقف الإمام الذهبي في عُمر سلمان الفارسي رضي الله عنه بعد أن رجع عن قوله الأول حيث قال: «وما أراه بلغ المائة، فمن كان عنده علمٌ فليُفِدنا»[٤].

٣- وساق الذهبي أيضًا أثرًا مشكِلًا في «السيَر» ثم قال بعده: «ما فهمتُه»[٥].

٤- ذكر الإمام ابن حزم في مفتتَح كلامه في كتابه «حجَّة الوداع» أنّ كثيـرًا من الناس لما تكاثرت عليهم روايات حجَّة الرسول ﷺ ظنَّها بعضُهم متعارِضة وترك بعضُهم النظرَ فيها لما تعذر عليه التوفيق، ثم قال ما نصُّه:

«فلما تأمَّلناها وتدبَّرناها ـ بعون الله عزوجل وتوفيقه إيَّانا لا بحولنا وقوَّتنا ـ

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٦٤-٦٥).

(٣) الآية: ٢٣.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٦).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٦).

رأيناها كلَّها متَّفقةً ومؤتلفةً منسرِدةً متَّصلة بيِّنَةَ الوجوه واضحةَ السبل لا إشكال في شيءٍ منها، حاشا فصلًا واحدًا لم يَلُحْ لنا فصلُ الحقيقة فيه أيّ النقلين هو منهما، فنبَّهنا عليه، وهو: أين صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم النحر أبمنى أم بمكة؟ فلعلَّ غيرَنا يلوحُ له بيانُ ذلك، فمن استبان له ما أشكل علينا منه يومًا ما فليُضِفهُ إلى ما جمعناه ليقتني بذلك الأجر الجزيل من الله تعالى»[1].

[٥- وكذا ما ذكره الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ عندما تكلّم عن حُكم الصلاة في المساجد التي فيها قبورٌ، وهل الصلاة باطلة أو مكروهة، قال رحمه الله تعالى: «... وإنّ القول بالبطلان محتمل، فمن كان عنده علمٌ في شيء من ذلك فليتفضّل ببيانه مع الدليل مشكورًا مأجورًا»[2]].

والذي يسمعُ فتاوى سماحة الشيخ أو يسمع دروسَه يعتادُ على سماع كلمة «لا أعلم»، أو «لا أدري»، أو «الله أعلم»، أو «يحتاج الأمر إلى بحث» كما ذُكِر سابقًا.

---

(١) «حجّة الوداع» لابن حزم (ص١٣، ص٢٨).

(٢) «تحذير الساجد» (ص١٨١).

مناصحة الشيخ للمسلمين(١)

نصح الشيخ مستمرّ مع كلِّ طبقة من طبقات المجتمع، ولا يبخل بالنصيحة للصغير والكبير والعامّي والمتعلم، ولو قُسم نصحُ الشيخ على مجموعة من الناس لكفاهم، والذي يسمعُ محاضرات الشيخ ويقرأ رسائلَه يرى عجبًا من كثرة مناصحته.

وسماحةُ الشيخ من أكثر الناس تمثلًا بحديث أبي رقية رضي الله عنه: «**الدين النصيحة**»(٢).

فالشيخ له نصيبُ الأسد وقصب السبق في النصيحة لله في تبيين صحة الاعتقاد وتقرير التوحيد، فكل محاضرة في الغالب يبتدئُها الشيخ بتوحيد الله وتقرير العقيدة وإخلاص النية لله، مع كثرة الاستدلال والتعظيم للنصوص الشرعية، وغيرته الشديدة على من خالف الدليل الشرعي الصحيح.

وإن شئتَ فانظر إلى ردّ الشيخ الشفهي وردِّه الكتابي على الفرق الضالة وبيان ضلالها، ناهيك عن تحذيره من البدع صغيرِها وكبيرِها.

وأما النصيحة لكتاب الله؛ فما أكثر ما أوصى الشيخ بكلام الله وقراءته وحفظه وتدبُّره والرجوعِ إلى ما قاله أهلُ العلم في تفاسيرهم.

وأما النصيحة للرسول ﷺ ؛ فقد كان يحُثّ على محبَّته واتباع سُنَّته، وعلى الاهتمام بكتُب السنَّة، مع تحذيره من البدع، ويعمل على نشر السنّة، وعلى إرسال دُعاة السنة إلى كلّ مكان وتشجيع المراكز القائمة على السنة.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين؛ فقد كان يُناصح الحكّام مشافهةً ومُكاتبةً، وليست نصيحتُه للحُكّام في بلاد الحرمين فقط بل لحُكام كثيرين؛ يُناصحهم، ويدعو لهم، ويُبيِّن لهم الحقّ برفق وعلم وإدراك.

---

(١) تكون الفائدة من هذا المبحث أكبر ـ إن شاء الله ـ بقراءة مبحث «معرفة الشيخ بحال المسلمين» (ص١٠٥).

(٢) الحديث في مسلم دون قوله ثلاثًا فهي عند أبي داود.

وقد أخبرني الشيخ صلاح أنّ سماحة الشيخ كان يُكثِر الدعاء لوُلاة الأمور، وذكر أنه رأى سماحةَ الشيخ ما لا يُحصي في مواطن الإجابة ـ في عرفة، وفي الطواف، وفي السعي ـ يُكثِر الدعاء لوُلاة الأمور، وهذا من بُعد نظر الشيخ ومن فقهه ومن ورعه، وكما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ لجعلتُها للسلطان»[١].

وأما النصيحة العامَّة لعموم المسلمين؛ فكم تكحَّلت أعيُننا وتشنّفت آذانُنا برؤية وسماع هذه العبارة: «من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى عموم من يراه من المسلمين»، وهذا دليل على نصح الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ومحبَّته للناس أن يسلُكوا دروب الخير.

[وبالنظر إلى كتابة العالِم الرباني ـ في مجال النصح والردّ على من أخطأ ـ وكتابة غيره من الغيورين والوُعاظ وطلبة العلم تلحظ في كتابات هذا العالم خصائص كثيرة مجتمعة عنده تتفرّق عند غيره.

فمن ذلك: شمولية فهمه للواقع دون إيغال في التشاؤم وتثبيط للناس.

ومن ذلك: علاج واقع الأمة ومشكلاتها على ضوء الأدلة الشرعية.

ومن ذلك: كثرة سياق الأدلة الشرعية مما يزيد الكلام نورًا وبرهانًا.

ومن ذلك: خلوّ تلك المقالات من كثرة الأسلوب الإنشائي المجرّد من الأدلة الشرعية، كما هو الغالب على بعض الكتّاب الإسلاميّين الذين لا ترى الأدلة الشرعية في كثير من كتاباتهم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فعليهم أن يستفيدوا من هذا المنهج الكتابي في الردّ والنصح والتوجيه.

ومن ذلك: سلوك السبيل الأقوم في الردّ على المخالفين وعدم التسرّع في الطعن في مقصدهم والاتّهام في عقائدهم دون تروٍّ ونظر.

---

(١) «السنة» للبربهاري (ص٥١).

ومن ذلك: مناصحة المسؤولين والدعاء لهم من ولاة الأمور بخاصة وغيرهم بعامّة، وتحذيرهم من أهل السوء، كل ذلك بالأسلوب الشرعي.

ومن ذلك: الدعاء للمقصّرين بالهداية والتوفيق، وتذكيرهم بالله تعالى، كل ذلك بأسلوب يحبّب أولئك أو غالبهم إلى التوبة والرجوع إلى القول الحقّ.

ومن ذلك: شكر من أحسن من أولئك المقصِّرين مما يجعلهم يزدادون حبا للخير وأهله.

ومن ذلك: التثبُّت من صحة الخبر إلى قائله، وذلك بذكره المصدر الذي ذكر الخبر، فإن كان في جريدة مثلًا ذكر عددها وتاريخها.

ومن ذلك: نقل بعض كلام غير المسلمين الموافق للحقّ إمعانًا في زيادة الردّ على المخالفين، وبخاصة أولئك المتأثرين بحضارة الغرب دون تمييز بين غثِّها وسمينها[١]].

---

(١) انظر أمثلة من ردود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب: «الشيخ ابن باز وقضايا المرأة، توجيهات وردود..»، جمع وإعداد: أحمد بن عبدالله بن فريح الناصر.

شفاعة الشيخ للمحتاجين

قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[(١)]. ذكر بعض المفسِّرين أنّ الشافع مأجورٌ سواء قُبِلت شفاعتُه أم رُدَّت؛ لأنّ الله تعالى بيّن أنّ النصيب يكون بمجرَّد الشفاعة وليس بقَبولِها، والنبيُّ ﷺ يقول: «**اشفعوا تُؤجَروا**»[(٢)].

[قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: والشافع يؤجر فيما يجوز وإن لم يُشَفَّع؛ لأنه تعالى قال: ﴿ مَّن يَشْفَعْ ﴾النساء: ٨٥ ولم يقل: ومن يُشفَّع»[(٣)]].

وقال أبو الحسن الواسطي:

اشفع إذا كنتَ مسؤولًا فربما ... سألت ما كنت مسؤولًا فلم تجب

ويقول الآخَر:

لا تمنعنَّ يدَ المعروف من أحدٍ ... ما دُمتَ مُقتدِرًا فالسَّعد تاراتُ

قد مات قومٌ وما ماتت مكارِمُهم ... وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

والشيخ مات لكن مكارمه حيَّة، برَّاقة مضيئة في كلّ مكان.

وقد جاء في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» في ترجمة الإمام محمد بن أحمد ابن محمد بن قدامة: «أنه كان كثيرًا ما يكتُب إلى أرباب الولايات شفاعاتٍ لمن يقصِدُه، فقال له المتولي ـ صاحب السلطة ـ يومًا: إنك تكتُب إلينا في قوم لا نُريد أن نقبل فيهم شفاعة ونشتهي أن لا نَرُدّ رُقعتَك. فقال: أما أنا فقد قضيتُ حاجةً من قصدني، وأنتم إن أردتُم أن تقبلوا ورقتي وإلا فلا. فقال له: لا نردُّها أبدًا»[(٤)].

وجاء في «تاريخ إربل»: أنّ أبا المظفر الخزاعي كان يُلزِم نفسَه بقضاء حوائج

---

(١) النساء: ٨٥.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٩٦).
(٤) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٥).

الناس ويرفعُها إلى المتولي، فيوقع عليها بقضائها، فقيل له مرةً: أيها الشيخ، ربما وقع ضجرٌ من إنهائك ما تُنهيه! فقال: أنا لا أزال أكتُب، فإن قُضيت حاجةُ من كتبتُ فذلك الغرض، وإن لم تُقضَ فقد أعذرتُ ولا أتأثر بذلك[١].

وفي «سير أعلام النبلاء»: أنّ الإمام بقيّ بن مخلد رحمه الله مشى مع ضعيف في مظلمة إلى أشبيلية[٢].

وهكذا ينبغي أن يكون طالبُ العلم؛ شفَّاعًا للمحتاجين إذا كان مقتدرًا.

وسماحة الشيخ معروفٌ بكثرة شفاعاته، ومن أعظم شفاعاته شفاعتُه لعلماء الصومال عندما حُكِم عليهم بالإعدام، فقد جاءه الخبر بعد المغرب وإعدامُهم في اليوم التالي صباحًا، فكلّم سماحتُه ولاة الأمور فبادروا ـ أثابهم الله ـ إلى الكلام مع من له الأمر فأنجاهم الله تعالى من القتل، فهنيئًا للشيخ وهنيئًا لمن أعان الشيخ، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢

ومن ذلك شفاعتُه ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض الإخوة الذين سُجنوا بسبب قيامهم بالدعوة الإسلامية والتحذير من عبادة الأولياء والاستغاثة بهم والدعوة إلى هدم القباب والأبنية التي على الأضرحة لكونها من أسباب الفتنة بالمقبورين والغلوّ فيهم[٣].

ومن تلك الشفاعات: شفاعة الشيخ للشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله بالبقاء في الأردن عندما أرادوا إخراجَه، حيثُ كتبَ إلى ملِكِها كتابًا فيه النصح والتذكير بمقام الشيخ، فما كان من المسؤول هناك إلا أن وافق على إبقاء الشيخ.

ومن ذلك: شفاعتُه ـ رحمه الله تعالى ـ للشيخ محمد الأشقر وأخيه عُمر بالعودة إلى الكويت، فقد حدّثني بذلك الشيخ عمر الأشقر عن الشيخ خالد المذكور، ثم

---

(١) «تاريخ إربل» (ص٤٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٩٥).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة» (٦/ ٢٤٨).

حدّثني الشيخ خالد المذكور شخصيا أنه لما جاء إلى الرياض بعد تحرير الكويت وفي أثناء تلك الأيام قابل سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ فسأله سماحتُه عن الشيخ محمد بن سليمان الأشقر وعن أخيه الشيخ عُمَر فلما علِم سماحةُ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بمغادرتِهما الكويت طلب من الشيخ خالد المذكور أن ينقُل إلى أمير الكويت طلب شفاعة الشيخ بعودتهما إلى الكويت، فنقل الشيخ خالد ذلك إلى أمير الكويت، فقبل الأمير شفاعة الشيخ ورحّب بها، ولما عُرِض أمرُ الرجوع على الشيخ محمد وعمر اعتذر الشيخ محمد بظروف صحِّية واعتذر الشيخ عُمَر بارتباطه بجامعة الأردن إضافة إلى ظروف عائلية[١].

[ومما يؤكّد حرص سماحته على الشفاعات المتعلّقة بالعلم وأهله زيادةً على تقدّم عنايته ـ رحمه الله تعالى ـ بذلك الأمر عند أولي الأمر في حياته العلمية كلّها، وليس ذلك مقصورًا على وقت دون وقت، فتلك الخصلة في نفس الشيخ منذ وقت شبابه، ومن شواهد ذلك ما ستراه في هذه الشفاعات التي أملاها سماحتُه قبل بلوغه سنّ الأربعين:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الإمام المكرم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ثبّته الله على الإيمان ونصر به السنّة والقرآن، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده حفظكم الله من خصص[٢] الطلبة بطرفنا قد مسّت غالبهم الحاجة، ولا يخفى جنابكم حالة الوقت وشدّة المؤنة، فالرجاء من جنابكم الكريم التفضّل عليهم بما يساعدهم في معيشتهم؛ لأنه ليس لهم إلا الله ثم أنتم، ضاعف الله أجركم وأجزل مثوبتكم وحفظكم من كلّ سوء، آمين، والسلام.

الختم

١٣٦٧هـ

---

(١) وقد حدّثني الشيخ عمر الأشقر أنه عجب من كون السماح جاء من الأمير شخصيا، فأخبره الشيخ خالد المذكور أنّ سبب ذلك شفاعة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله تعالى.

(٢) كذا في الخطاب، وصوابها: «من خصوص».

صورة الخطاب السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة وليّ العهد المكرم سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل ثبّته الله على الإيمان ونصر به السنّة والقرآن، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده حفظكم الله معلومكم ما قد أصيب به المسلمون من قلة حملة العلم الشرعيّ وقلة طلابه الحقيقيِّين لأسباب كثيرة، منها: ضعف الداعي القلبي الإيماني إلى طلبه. ومنها: قلة المساعدة المادّية لمن قد يوجد فيه رغبة في الطلب في غالب البلدان التي يوجد فيها معلم. ومنها: قلة المشجّع والمرغّب في الطلب باللسان والمال. وقد جبلكم الله بفضله على محبة العلم وأهله وعلى محبة مساعدة طلّابه وتشجيعهم لما قد علمتم من فضل ذلك وجزيل المثوبة لمن ساعد في تحصيله، ولكن تغيّر الأحوال وشدّة المؤنة أمر لا يخفاكم، وبسبب ذلك لا يتهيأ ترغيب الطلبة واستقرارهم في الطلب بالمساعدة القليلة، لا سيما وقد وجدت وظائف كثيرة دينية ودنيوية بمقررات كثيرة يرغب الكثير من الطلبة في التوظّف فيها لمسيس حاجته إلى زيادة المقرر فيشتغل بها عن طلب العلم الشرعيّ.

وبملاحظة ما ذكر يتّضح لجنابكم الكريم أن مقام طلبة العلم الشرعي يحتاج إلى إمعان نظر ومساعدة مادّية جيّدة ترغّب في طلب العلم في جميع أنحاء المملكة التي يوجد فيها من يصلح للتعليم، وهذا المقام من أهمّ المقامات وأجدرها بالعناية لعظيم ما يترتب على القيام به من المصلحة العظيمة للمسلمين في دينهم ودنياهم.

ولا يكفي عن ملاحظة هذا المقام والاهتمام به فتح المدارس التابعة للمعارف؛ لأنّ أكثر طلاب المدارس من حين يأخذ الشهادة الابتدائية يخرج من المدرسة ويكون في حاجة نفسه أو في وظيفة دنيوية، ومثل هذا لا يحصل به مصلحة كبرى للمسلمين لعدم اشتغاله بتكميل دروس العلم الشرعي، وهذه إشارة مختصرة، وجنابكم الكريم

يفهم ما وراءها والمقصود منها إلفات نظر جنابكم الكريم إلى العناية بهذا المقام وبذل الوسع فيما يرغّب في طلب العلم الشرعي الذي به السعادة والنجاة وصلاح أمر المسلمين في دينهم ودنياهم، والنفقة في هذا السبيل من أفضل النفقات وأعظمها جدوى؛ لأنها من النفقة في سبيل الله التي يضاعف الله بها الأجور ويحطّ بها الخطايا.

وتشجيع طلاب العلم الشرعي من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولم يزل جنابكم الكريم وجناب والدكم ـ وفقكما الله ـ دائبين في العناية بالمصالح العامّة، فليكن هذا المقام من أهمّها، ولا ينبغي أن يستكثر ما يصرف فيه من المال؛ لأنه من أهمّ الأمور وأحقّها بالنفقة، إذ لا سعادة للعباد ولا نجاة لهم في الدنيا والآخرة إلا بمعرفة الحقّ والعمل به، ولا يمكن العلم بالحقّ إلّا من طريق طلاب العلم الشرعي، فتبيّن بذلك وجوب تشجيعهم وترغيبهم في طلبه بكلّ وسيلة.

والله المسؤول أن يوفقكم ووالدكم لما يرضيه، وأن يرفع بكم مقام العلم النافع وأهله، وأن ينصر بكم دينه ويخذل بكم أعداءه، وأن يعيذكم من موجبات الخذلان ومضلات الفتن، إنه سميع الدعاء قريب الإجابة.

هذا ما لزم، والله يتولاكم ويحفظكم، والسلام. ٣٠/ ١/ ١٣٦٨].

صورة الخطاب السابق

الختم

ومن ذلك: أنّ أحد العسكريِّين أراد الحجّ مرارًا فلم يَأذن له مرجعُه، فسأل الرجلُ الشيخَ عن جواز الحجّ بدون رُخصة من مرجعه فأفتاه بعد جواز حجِّه بدون إذن مرجعه؛ لأنه أَجيرٌ في مصلحة المسلمين، ثم قال ـ بعد كلامٍ له ـ:

«... وإذا لم يتيسَّر لك من مرجعك الإذن أو الإجازة فأخبرني، وأنا إن شاء الله أكتُب إلى مرجع الجميع في هذا الموضوع، ولا مانع أن تشفع كتابك لمرجعك بصورة من هذا الكتاب لعله يكون سببًا لموافقته على منحِك الإذن أو الإجازة ..»(١).

[وأما شفاعته لقضاء الديون وقضاء حوائج الأيتام الفقراء وغيرهم فكثير، وإليك مثال من ذلك:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن محمد الشثري قاضي محكمة نعام وفقه الله لكل خير، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

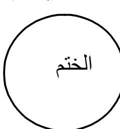
فإشارة لكتابكم رقم (١٨٢) وتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٤١٦هـ المرفقة صورته نشفع لكم مع كتابنا هذا شيكا رقم (١٦٩) وتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٤١٨هـ بمبلغ قدره مائة وثلاثون ألف ريال مساعدة من الشيخ .... وأبناء أخيه وفقهم الله في شراء سكن لأيتام ....

نرجو احتساب الأجر في شراء السكن المناسب وموافاتنا بما يفيد ذلك. وأسأل الله عزوجل أن يخلف على المتبرّعين بالخلف الجزيل، ويضاعف لهم الأجر ويجعل عملنا جميعًا خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء]



(١) «مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز» (الجزء الخامس، القسم الثاني: الحج والعمرة)، د. عبدالله الطيار، وأحمد بن باز (ص٣٠٦-٣٠٧).

هذا ما ظهر من شفاعات الشيخ عبدالعزيز رحمه الله ، وما يخفى أكثر.

صورة الخطاب السابق

حرص الشيخ على أداء عمله وعلى قضاء الحوائج

إنّ المرء ليرى أثَرَ البركة في الوقت في برنامج الشيخ اليومي، فالأعباء العلمية والوظيفية التي يقوم بها سماحة الشيخ لو قُسمت على سبعة ـ بل على عشرة ـ لكفتهم بل أكلفتهُم، ومع هذا كان رحمه الله يُقابل تلك الأعمال بصدر رحب، وتراه مباركًا له في وقته في تنظيمه وترتيبه.

ويزيدُك عجَبًا إذا رأيته مع كثرة مشاغله يسعى جاهدًا لإدخال السرور على المسلمين من حيث حضور الأعراس أو عيادة المرضى، وذلك فضل الله، وهو بذلك ينهج منهج من كان قبله من السلف.

وقد ذكر الذهبي في «السير»: أنّ عمرو بن الحارث المصري كان يخرج من داره فيرى الناسَ صفوفًا يسألونه عن القرآن، والحديث، والفقه، والشِّعر، والعربية، والحساب[1].

وفي «السير» أيضًا: «أنّ الإمام مالكًا رحمه الله كان يأتي المسجد فيشهد الصلوات والجمعة والجنائز، ويعود المرضى، ويجلس في المسجد فيجتمع إليه أصحابُه»[2]، مع كثرة أشغاله رحمه الله.

والذي يرى تزاحُم الناس على سماحة الشيخ يرى العجب؛ فيرى جميع طبقات الناس حولَه: هذا كبير وهذا صغير، هذا طالب علم وهذا عامي، هذا يطلب حاجة وهذا يطلُب مالًا، وهذا يريد الذهاب مع الشيخ، والشيخ يتقبَّل ذلك بصدر رحب ويُعطي كُلا حاجتَه على قدر جهده واستطاعته رحمه الله تعالى.

ويحضُرني هنا قول القائل:

فبوركتَ مولودًا وبُورِكتَ ناشئًا وبورِكتَ عند الشَّيب إذ أنتَ أشيَبُ

ومن العجب في تحامل الشيخ على نفسه لمصالح الناس ما حدّثني به ابنُه أحمد:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٥٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٦٤).

أنه في شهر ذي القعدة من عام ١٤١٩هـ دخل سماحتُه المستشفى بعد ما تعسَّر عليه البلعُ وأصبح يتقيَّأ، فعُمل له منظار بعد صلاة العِشاء واقترح الأطباء عليه أن يبقى يومًا في المستشفى ليكون تحت المراقبة، فبات في المستشفى.

فلما قاربت الساعةُ التاسعةَ صباحًا قال سماحتُه: نتوجَّه إلى المكتب!

قال أحمد: فأشرتُ عليه بالذهاب إلى المنزل، وكلّم أحمد بعض موظّفي الشيخ وطلب منهم التوجُّه إلى المنزل لقدوم الشيخ، فلما وصلوا قُرب المنزل وأخبروا الشيخ قال: نذهب إلى المكتب، فلما رأى أحمد إصرارَه قال له: تعود يا أبي بعد الظهر، قال: نعم، الساعة الثانية والنصف، فكلم أحدُ المسؤولين ابنَه أحمد وسأله عن الشيخ، فطلب منه أحمد أن يُقنِع الشيخ حتى يرتاح، فكلم المسؤولُ الشيخَ فأجابه الشيخُ بقوله: راحتي في العمل.

دعابة الشيخ ومزاحه

كان للشيخ رحمه الله لطافة ودعابة، ومن ذلك:

١- أنّ أحد طلبة العلم كان مرَّةً راكبًا مع الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله ، وكان الشيخ ناصر يُسرِع في قيادته للسيارة، فقال ذاك الطالب: يا شيخ، هذه سُرعة ولا تجوز، والشيخ ابنُ باز أخبر أنّ ذلك من إلقاء النفس إلى التهلُكة، أو كلامًا قريبًا من هذا، فضحك الشيخ الألباني وقال: هذه فُتيا من لم يُجرِّب فنّ القيادة. فقال الطالب: يا شيخ، سأنقُل هذا الكلام إلى الشيخ عبدالعزيز. فقال: انقُله.

قال الطالب: فقابلتُ الشيخَ عبدالعزيز رحمه الله في مكة وأخبرتُه بكلامي مع الشيخ الألباني، وأخبرتُه بكلام الشيخ لي، فضحك الشيخ وقال: قل له: هذه فتوى من لم يُجرِّب دفع الدية.

٢- كان من عادة الشيخ رحمه الله إذا كان عنده أناسٌ بعد صلاة العشاء أن يدعوهم إلى العَشاء، فإذا تعذّر أحدُهم قال: أنتَ تخاف من امرأتك! إذا كنتَ لا تخاف فاجلس معنا لتتعشى، وإن كنتَ تخاف فاذهب! فيضطرّ المدعوّ إلى الجلوس.

٣- وذات مرّة قال لبعض طلبة العلم: لِمَ لا تُعدِّد؟ يعني في الزواج، فقال: يا شيخ، أنا موحِّد. فقال الشيخ: مسكين، هذا توحيد الخائفين.

٤- ومن الطرائف أنّ الشيخ رحمه الله ذات مرَّة كان يأكل عشاءه، وكان عنده أحدُ الإخوة المهتمِّين بالطبّ، ومن حرصه على الشيخ كان يقول: يا شيخ، دع عنك هذا الأكل، هذا فيه كولسترول، وهذا فيه كذا، وهذا فيه كذا، والشيخ يأكل، ومن حرصه أكثر الكلام على الشيخ، والشيخ لا يزال يأكل.

فقام الشيخ ليغسل بعد الأكل وقام معه أحد المشايخ، والطبيب جالس، فقال ذلك الشيخ: يا شيخ عبدالعزيز، من هذا الرجل الذي يقول لك كذا وكذا؟ فقال:

هذا طبيب ولكن «خذ وخلّ خذ وخلّ»[(١)]!

٥- ومن مداعباته ـ رحمه الله تعالى ـ تعليقاته على بعض الأسماء:

فمن ذلك أنه قرأ عليه مرَّة أحدُ الناس في كتاب فأخطأ القارئ فصوَّبه الشيخ رحمه الله تعالى، ثم أخطأ ثانيةً فردّ عليه، ثم ثالثةً، فسأله الشيخ عن اسمه فقال: اسمي صقر. فتبسَّم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وقال: الصقر يتعلم من أوّل مرّة!

وجاءه رجُلٌ اسمه المطرود فقال له: أنت المقبول.

وحدّثني شابّ اسمه متعب قال: إنّ الشيخ سألني عن اسمي فقلتُ له: اسمي متعب، فقال: أنت متعب العدوّ إن شاء الله.

وجاءه رجلان اسم أحدهما ذيب، والآخر ذياب، فقال لهما مازحًا: أنتما تأكُلان الناس؟

٦- ومن ذلك أنه سأله رجُل عنده وسوسة فقال: إنه دائمًا يُطلّق امرأتَه بينَه وبين نفسه، وأكثر التردُّد على الشيخ، وذات مرّة عندما سأل الشيخَ كعادته رفع الشيخ العصا وقال له: إن كنتَ لا تُريدُها فطلِّقها الآن! فقال: لا لا لا! فقال له الشيخ: إن رجعتَ فسأضربُك بالعصا مرَّةً أو مرَّتين!

فقال سعد الداود: اجعلها ثلاثًا! فقال الشيخ: كذلك نجعلُها ثلاثًا، فقال الموسوس: إن كانت ستنفع فأهلًا بها.

٧- ومن طرائفه رحمه الله أنه في أحد دروسه عام ١٣٩٨هـ كان سماحتُه يعلّق بعد القراءة من كتاب «تيسير العزيز الحميد» وتطرّق الشيخ إلى سيرة البدوي وكيف يعظِّمُه الجُهَّال ويدعونه من دون الله... إلى أن قال: حتى إنّ بعض أهل مصر يقول: لا يدخل مصر زَرَّة ـ بالزاي بدل الذال ـ ولا يخرج منها زَرَّة إلا بعلم البدوي! فقيل: يا شيخ، ذرّة أو زرّة؟ فقال: زرّة زرّة كما يقول المصريُّون. قالها الشيخ وهو يتبسَّم.

---

(١) أي: خذ ما شئت واترك ما شئت.

٨- ومن طرائفه رحمه الله أنه دعاه أحد أزواج قريباته فاعتذر، وبعد إلحاح قال الشيخ: «نحن حضرنا زواجَك، فإذا تزوّجتَ مرَّةً أخرى حضرنا زواجَك»، فذهب الزوج وأخبر امرأتَه، فكلّمت الشيخَ مُعاتِبةً، فطيَّب الشيخ خاطرَها وأخبرها أنه يُداعبه وأتى الشيخ ولبَّى دعوتَهم.

٩- ومن ذلك أنّ أحد الناس ممَّن قدِموا للحجّ أو العمرة أراد استخراج إقامة نظامية فعجز، فقال: يا شيخ عبدالعزيز، قال: نعم، قال: رأيتُ الرسول ﷺ في المنام فشكوتُ له حالتي فقال: اذهب إلى الشيخ ابن باز وسيصلح أمرك، فضحك الشيخ وقال: لعلك لم تَرَ الرسول ولكن ارفع لنا من يُزكِّيك وسنسعى إن شاء الله في بعض ما نستطيع.

اجتهاد الشيخ في العبادة

قال وكيع بن الجراح رحمه الله: «كان الأعمش قريبًا من سبعين سنةً لم تفُته التكبيرة الأولى»[١].

وقال القاضي تقيّ الدين سليمان بن حمزة المقدسي رحمه الله: «لم أصلِّ الفريضة قطّ منفردًا إلا مرَّتين، وكأني لم أُصلِّها»[٢].

وقال محمد بن سماعة رحمه الله: «مكثتُ أربعين سنةً لم تفُتني التكبيرة الأولى إلا يومًا واحدًا ماتت فيه أمِّي...»[٣].

وجاء في ترجمة إبراهيم بن ميمون الصائغ رحمه الله أنّ ابن معين رحمه الله كان يقول عنه: «كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يَرُدَّها»[٤].

وفي ترجمة سعيد بن المسيّب رحمه الله: «ما نودي بالصلاة من أربعين سنةً إلا وسعيد في المسجد»[٥].

وقال الشعبي رحمه الله: «ما أقيمت الصلاة منذ أسلمتُ إلا وأنا على وضوء»[٦].

وسماحة الشيخ رحمه الله قُدوة ومثالٌ يُحتذَى به في حرصه على العبادة، وفي تبكيره إلى المسجد، ومحافظته على السنن الرواتب، ومحافظته على الأذكار.

وقد قال لي ابنُه أحمد: «منذ عرفتُ والدي وهو يقوم قبل الفجر بساعة ويُصلي إحدى عشرة ركعة».

فطالب العلم ينبغي أن يكون مثالًا يُهتدَى به، وقدوةً في عباداته وفي جميع شأنه،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٨).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٣٦٥).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٩/ ٢٠٤).

(٤) «تهذيب التهذيب» (١/ ١٧٣).

(٥) «تهذيب التهذيب» (٤/ ٨٧).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٤).

ومما يؤخذ على بعض طلبة العلم التثاقل عن الصلاة المكتوبة وكثرة قضاء الصلاة بعد سلام الإمام ـ وبخاصة صلاة الفجر ـ مع التفريط في النوافل.

والعامة إذا رأوا طالب العلم جعلوه قدوةً لهم؛ فإن أساء أساؤوا واحتجُّوا به، وإن أحسن أحسنوا وتأثّروا به، وكان له مثلُ أجرهم لا يَنقُص من أجرهم شيئًا.

زهده في متاع الدنيا

قال ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبَّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبَّك الناس**»[(١)].

وقال محمد بن كعب القرظي: «إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا زهَّده في الدنيا وفقّهه في الدِّين وبصَّره بعُيوبه، ومن أوتيهنّ أوتي خير الدنيا والآخرة»[(٢)].

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في عصرنا هذا مثلًا عجيبًا في زُهده في الدنيا، فعلى رغم ما بلغ من المنصب والجاه واحترام جميع طبقات المجتمع له، مع هذا كلّه فقد كان مسخِّرًا ذلك لنفع المسلمين، ولو أراد أمورَ الدنيا لاجتمع له الكثير منها، ولكن:

وإذا كانت النفوس كبارًا　　　تعبت في مُرادِها الأجسامُ

وزُهد الشيخ رحمه الله تعالى وقناعتُه واضحان لدى الجميع، والأمثلة واضحةٌ وكثيرة في ذلك، وسأكتفي هنا بمثالين:

١ – أثناء إقامة الشيخ رحمه الله في المدينة النبوية أرادوا أن يُملِّكوه بيتًا فرفض ذلك، وأمر أن يكون البيت باسم رئيس الجامعة ليسكُنَه غيرُه إذا تولى رئاستَها.

٢ – وقبل موت الشيخ رحمه الله ببضع سنين اشتكى الشيخ من رُكبته، فأراد وليّ الأمر ـ أثابه الله ـ أن يبني للشيخ بيتًا بلا درج حتى لا يتكلّف في الصعود، ولما استشاروه في أيّ مكان يُبنى البيت قال بعد أن دعا له بخير: «ليس في العُمر بقيّة، ويكفينا هذا البيت الذي نحن فيه».

---

(١) أخرجه ابن ماجه وغيره. وانظر تخريج الحديث في «السلسلة الصحيحة» حديث رقم (٩٤٤).

(٢) أخرجه وكيع في «الزهد» (١/ ٢١٧).

سلامة قلبه على المسلمين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[(١)].

وورد في الحديث[(٢)] أنّ رجلًا قال عنه النبيُّ ﷺ: «**يدخُل عليكم من هذا الفجّ رجُلٌ من أهل الجنة...**»، وفي آخر الحديث ذكر الرجُلُ: أنه لم يضع جنبَه على فراشه وفي قلبه غلّ على أحد من المسلمين.

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قيل: يا رسولَ الله، أيّ الناس أفضل؟ فقال ﷺ: «**أفضلُ الناس كلّ مخموم القلب صدوق اللِّسان**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**التقيّ النقيّ لا إثمَ فيه ولا بغي ولا غِلَّ ولا حسَد**»[(٣)].

وعن زيد بن أسلم رحمه الله قال: دُخِل على أبي دُجانة رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهُه يتهلّل، فقيل له: مالِ وَجهِك يتهلّل؟ فقال: «ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنتُ لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا»[(٤)].

إنّ من جالس الشيخَ وقرب منه يشعُر أنه أحبّ الناس إلى الشيخ، وذلك من خلال تحفِّي الشيخ بجليسه وسؤاله عن أحواله الخاصة والعامَّة، وأيمُ الله كم يغبِط المرءُ نفسَه إذا أحاطه الشيخ بالسؤال والدعاء.

وقد سألتُه ذات مرَّة في سيارته وقلتُ له ما معناه: يا شيخ عبدالعزيز، ما أعلمُ أحدًا إلا يُحبُّكَ صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى، وهذا أمرٌ شِبهُ متَّفَق عليه، فما السِّرّ يا شيخ في ذلك؟ فحاول الشيخ رحمه الله أن يتعذّر من الجواب، فكرَّرتُ

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

(٣) أخرجه ابن ماجه وغيره. انظر: «السلسلة الصحيحة» حديث رقم (٩٤٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٤٣).

السؤال مرّةً أو مرّتين، فقال ما معناه: «ما أعلمُ في قلبي غِلا على أحد من المسلمين، ولم أعلم بين اثنين شحناء إلا سارعتُ بالصلح بينهما».

ومن الأمثلة على سلامة قلب الشيخ: ما حدّثني به الشيخ عبدالرحمن بن جلَّال ـ أثابه الله ـ حيث قال بأنّ الشيخ ابن باز قضى على رجُل في مسألة، فتضايق الرجُل وكان الرجُل لسِنًا، فأخذ يقذع في الشيخ ويتكلم على الشيخ.

وبعد مدّة مات ذلك الرجُل وكان الشيخ حاجا في عامه ذاك، فلما قُدِّم ذلك الرجل بعد صلاة الفريضة ليُصلّى عليه سأل الإمام ـ وهو أحد طلاب الشيخ ـ من المتوفى؟ فقالوا: فلان، فقال: الذي يتكلم في الشيخ ابن باز ويشتم، والله لا أصلي عليه! قال: فصلينا عليه مع الناس، وكان بعضُهم يقول بأنّ هذا الإمام الذي ما صلى عليه سيكون له منزلةٌ وحظوة عند الشيخ عبدالعزيز.

فلما رجع الشيخ رحمه الله من الحجّ أخبره بأنّ فلانًا قد مات فترحّم عليه، ثم أخبروه بأنّ الإمام لم يُصلِّ عليه فغضب الشيخ وتمعَّر ولم يرضَ بذلك، ثم أمر الشيخُ رجُلًا ـ عبدالرحمن بن جلال أو غيره ـ أن يأخذه إلى المقبرة، فوقف على قبره وصلى ودعا له.

فانظر إلى سلامة قلبه ونقائه وترحّمه حتى على من عاداه.

ومما يحسُن ذِكرُه هنا: ما قاله الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ في أثناء كلامه عن أخلاق المحدِّث، قال:

«مبحث: الرِّفق بمن جفا طبعُه منهم»، ثم ساق بأسانيده حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمتُ النبيَّ ﷺ عشرَ سنين فما قال لي أُفّ قط...».

وحديث عائشة رضي الله عنها: «لم يكن رسولُ الله ﷺ بفاحشٍ ولا متفحِّش، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيِّئة مثلَها، ولكن يعفو ويصفح».

وحديث جرير رضي الله عنه: «**من يُحرَم الرِّفق يُحرَم الخير**».

ثم ساق الخطيب من الآثار قولَ سليمان بن حرب: «زَين هذا العلم حِلم أهلِه».

وعن الأصمعي أنه قال: «قيل لأعرابي: من الأديب العاقل؟ فقال: الفطِن

المتغافِل»(١).

ولقد كان سماحةُ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من أرفق الناس في معاملة الناس، وبخاصة من جفا طبعُه وساء خُلُقه، وهذا مُشاهَد بل متواتر في أخلاق الشيخ، ولعل من شواهد سلامة قلب الشيخ هذا الخبر:

ذكر الشيخ محمد بن موسى أنّ أحد المشايخ من طُلَّاب الشيخ والمتتلمذين عليه والعاملين معه كتب للشيخ كتابًا قاسيًا ملأه بالعبارات القاسية والكلمات الفظة، وقال: أنت لم تعُد تهتمّ بي، وأنت تقدِّم غيري عليّ، وأنا ظُلمتُ معك، والناس ينتظرون فيك العدالة، وسأقف أنا وأنت بين يدي الله، لقد عملتُ معك مدّةً طويلةً فلم أحصُل على ترقية وتحسين لمستواي الوظيفي... إلى غير ذلك من الكلام الجاف المزعج.

قال الشيخ محمد: فقرأتُ الرِّسالة على سماحته كاملةً، فلما فرغتُ منها تبسَّم الشيخ وقال: الله يسامحُه، لقد أحسستُ بهذه الجفوة فيه، وشعرتُ أنّ في نفسه شيئًا عليّ، اكتب: من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الابن فلان بن فلان حفظه الله وبارك فيه، أما بعد:

فوَالله إنكَ من أحبِّ الناس إلى قلبي، وأنا ليس في نفسي عليك شيءٌ، أما بالنسبة لموضوعك فأنتَ لم تُكلِّمني فيه أبدًا، ولكن أرجو منكَ أن تُغيِّر خطابَك هذا بخطاب آخَر تشرحُ فيه موضوعَك وننظُر في الأمر إن شاء الله ونجتهد فيه. ثم دعا له بالتوفيق والصلاح.

قال الشيخ محمد: فلما وصل الخطاب إلى الرجُل احمرَّ وجهُه من الخجل، ووقع في حرج عظيم، وتأثّر بموقف الشيخ تأثّرًا بالغًا وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، كيف أستطيع مقابلة الشيخ الآن بعد الذي حصل مني؟!

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٨-٢٨٠).

قال: فجاء إلى الشيخ ليزورَه ويعتذر إليه، فرحَّب بـه الـشيخُ وأجلـسَه بجِـواره وأرخى له سمعَه واعتذرَ إليه ودعا له ووعده خيرًا[١].

ومن الأمثلة على سلامة قلبه رحمه الله: أنهم ذكروا أنّ شـابا كـان يغتـابُ الـشيخ ويتكلم فيه، وبعد أن منّ الله تعالى على الشابّ بالهداية جاء إلى سماحة الشيخ وتأسَّف منه وتعذّر عن الذي حصل منه وطلب التحلّل من الـشيخ، فـدعا لـه الـشيخ بخـير وأوصاه بالخير وحلّله من مظلمته.

(١) انظر كتاب: «إمام العصر» د. ناصر الزهراني (ص١١٨).

تواضع الشيخ وعفوه ومحبته للفقراء

قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلّا عِـزا، ومن تواضع لله رفعه**»[(٢)].

وقال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ   على طبقات الماء وهو رفيعُ
ولا تكن كالدُّخان يرفع نفسَه   إلى طبقات الجوِّ وهو وضيعُ

كان الشيخ رحمه الله آيةً من آيـات الله في التواضـع، فتحـسب أنـك إذا جلـستَ بجواره أو تكلمت معه كأنك أمام شخص من أمثالك، ومـا ذاك إلا لـسموّ أخلاقـه وعدم ترفّعه على جليسه، بل إنك تعجب إذا قام سماحتُه يـسأل مـن في المجلـس مـن المشايخ أو طلبة العلم عن بعض الإشكالات التي قد تردُ عليه من السائلين، وهكـذا العلماءُ الربَّانيُّون.

* **ومن تواضعه**: أنّ فقيرَ المسلمين يجد عنده من الرَّحابة والتقدير ما لا يحظى بـه عند غيره.

ويقول ابنُه أحمد: إنّ الشيخ يغضب علينا إذا رفـع إليـه بعـض الفقـراء شـكوى بأنهم يُمنعون من الأكل ولو كانت الشكوى غيرَ صحيحة أو مبالَغًا فيهـا، فقـد كـان رحمه الله متعاطفًا مع الفقراء، حريصًا على عدم جرح مشاعرهم.

* **وذات مرَّة** أساء الأدبَ معه بعضُ الوافدين الذين يـؤويهم الـشيخ ويقيمـون تحت رعايته وكفالته، فجاء مرَّةً ورفع صوتَه يخاصم في مجلس الشيخ ويقول: لمـاذا مـا

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم.

تنبيه: يزيد بعضُهم بعد قوله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**»: «بل تزده»، وهذه الزيادة «بل تزده» ليست في لفظ الحديث.

أنهيتُم إجراءات إقامتي؟! فقال الكاتب: يا شيخ، هذا طبعُه دائمًا وصدرُه ضيِّق ومجادلاتُه كثيرة. فقال الشيخ: هؤلاء مساكين وأغراب فارحموهم وارفقوا بهم وتحمَّلوهم، ألم تسمعوا قولَ النبيِّ ﷺ: «**اللهمَّ من وليَ من أمر أمَّتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئًا فرفق بهم فارفُق به**»[١].

* **ومن تواضع الشيخ** رحمه الله **وحلمه**: أنه كان يتحمَّل السائلين، فمع كثرتهم وكثرة أسئلتهم إلا أنه كان يتّصف بسعة الصدر لهم وعدم الضجر والسآمة منهم، وهذا يُعطي طالبَ العلم منهجًا في تحمُّل السائلين.

وأعجب من هذا أنّ السؤال قد يتكرَّر عليه عشرات المرَّات، كما يحصُل ذلك في مُخيَّمه في الحجّ، حتى إنّ الجالس عنده قد يملّ من سماع الجواب، فكيف بمن يُجيب؟! ولكن هكذا العالِم الربَّاني؛ يتواضع للجهَّال من المسلمين والفقراء منهم فيستمع إليهم.

ورحم الله الشيخَ ابن سعدي عندما قال شاكِرًا للسائل ومبيِّنًا فائدة السؤال: «... ونحن ممنونون في كلّ ما يقع لكم من الإشكالات؛ لأنها قد تصيرُ سببًا لبحث أمور لم تخطر على البال ومراجعة محالِّها، وهذا من طرق العلم فلا تحرمونا ذلك...»[٢].

وقال هشام بن مسلم القرشي: «لولا المسائل لذهب العلم»[٣].

* **ومن تواضع الشيخ رحمه الله تعالى**: أنّ السائق تأخّر عليه أو تعطلت السيارة الخاصة به، فطلب من الشيخ صلاح أن يأتي بسيارته فاعترض الشيخ صلاح بأنّ سيارتَه لا تواجه ولا تليق بمقام الشيخ، فداعبه الشيخ قائلًا: سيارتك ما تمشي؟!

* **وذات مرّة** جئت إلى منزله فصادفته وقد قام لتوِّه من العَشاء وهو في طريقه ليغسل يديه، وكان معه ابنه أحمد بارك الله فيه، فسلمتُ عليه وقلت: يا شيخ، أريد أن أحدِّثك عن شيء في نفسي ـ قلت ذلك مغتبطًا لفرصة وجود الشيخ وحدَه ـ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٢) «الفتاوى السعدية» (ص١٠٣).

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٤٨).

خيرًا إن شاء الله تعالى. فلما انتهى من غسل يديه قلت لـه: يـا شـيخ، احمـد الله فمـن عاجِل بُشراك محبَّة الناس لك وقبولهم لكلامك... وذكرتُ له كلامًا من هذا القَبيل.

فقال لي ما مفاده بعد أن حمد الله تعالى وشكَرَه: نـسأل اللهَ العـون، نحـنُ مقـصِّرون ونحتاج إلى التعاوُن على النُّصح والخير، نحن محتاجون للنصح والتذكير.

فرحم اللهُ شيخَنا وأجزل له المثوبة والمغفرة، فللَّه درُّه من شيخ يرى نفسَه صغيرًا وهو عند الناس كبير.

* **ومن حُسن خُلُقه وتواضعه رحمه الله تعـالى**: رجوعـه عـن الأمـر إذا تبـيَّن لـه الصواب.

* **ومن شواهد ذلك**: ما حدّثني به الأخ سعد الـداود ـ سـلمه الله تعـالى ـ قـال: كان من عادة الشيخ أن يخرج من بيته من الباب الغربي قبل المغرب بوقت يسير عندما يُريد الذهاب إلى الجامع ليلة الجمعة للتعليق على الندوة الأسبوعية.

قال سعد: وذات يوم تأخّر الشيخ على غير عادته حتى فرغ المؤذِّنون من أذانهـم، قال سعد: فقمتُ بجولة حول البيت من الخارج، فإذا بالشيخ قـد خـرج مـن البـاب الشرقيّ. قال: فأشرتُ للحرَس الخاص بالشيخ بالإسراع بالمجيء عند الـشيخ، فلـما أراد الركوب عاتبنا وقال فيما قال: لِمَ لَمْ تنبِّهوني؟ فأجبتُه بأنّ المتّبَع الخروج مـن البـاب الغربي، فركِبَ وعليه آثارُ التأثّر من التأخّر وعاتبنا عتابَ المُغضَب.

قال سعد: فلما رجع مـن الجـامع ودخـل البيـت طلـب منِّـي إحـضار الحـرس المرافقين له، فلما حضروا تأسَّف لهم ممَّا بدر منه وقال: إنها ساعةُ غضب.

* **ومن صوَر تواضعه**: عدمُ انتصاره لنفسه، فقد ذكروا لسماحة الـشيخ أنّ أحـد الناس عنده أخطاء ومخالفات، فبدأ الشيخ يُملي كتابًا لتوبيخه، وفي أثناء الكتابـة قـال أحدُ الحُضور: يا شيخ، إنه يتكلم فيك وينالُ منـك. فـأمر الـشيخُ الكاتِـب بـالتوقّف وتركِ الخطاب خشيةَ الانتصار للنفس.

* **وذات مرّة** أمسكت عجوز بطرفي شماغه، فمنعها أحـدُ الجنـود فقـال الـشيخ:

دعها، هذه من عجائز الأوّلين، فأخبرت الشيخ برؤيا رأتها، فقال الشيخ: خيرًا إن شاء الله. فقالت: يا شيخ، خير؟ فقال: نعم. فقالت: مع السلامة.

وهذا يُذكِّرُنا بحديث: «كانت الأمَة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»(١).

* **ومرّة** سأله شخص عن أخذ ما تحت اللحية ووضع السائل يده تحت لحية الشيخ، فأبعد أحدُ المرافقين للشيخ يدَ السائل، فقال الشيخ للمرافقين: هل وضعها على رقبتك؟! ثم أخذ الشيخ يد السائل ووضعها على رقبته مرّةً أخرى.

* **ومن تواضع الشيخ** رحمه الله: أنّ سائلًا أغلظ على الشيخ فقال: يا شيخ، صلى إمامُنا المغرب فقام إلى ركعة رابعة، فقال الشيخ: ما سبَّحتُم به؟ فقال السائل: اصبر يا شيخ، وهذا السائل رجُلٌ كفيف البصر كان متّكئًا على عمود جوارَ الشيخ. فردّ السؤال مرّة أخرى، فكأنّ الشيخ رحمه الله أراد الاستيضاح فقال السائل: اصبر يا شيخ حتى أُكمِل سؤالي، فردّ سؤاله ثالثةً، فقال في الثالثة ما معناه: يا شيخ، لا تعجل أنتَ مُفتٍ تأكّد من السؤال ثم أجب!

فأرخى الشيخُ سمعَه، فقال السائل: إنّ إمامَنا قام إلى الركعة الرابعة في صلاة المغرب، فلما سألناه عن ذلك قال: لم أقرأ الفاتحة في الركعة الثالثة.

فقال له الشيخ فيما أذكُر: «أمهِلنا ثلاثةَ أيام حتى نبحث هذه المسألة».

وليس حليمًا من تُقبَّل كفُّه ... فيرضى ولكن من تُعَضُّ فيحلمُ(٢)

* **ومن تواضع الشيخ** رحمه الله: أنه جاءه رجلٌ وقدَّم له معروضًا وقال: يا شيخ، أنا مَدِينٌ بأربعة آلاف ريال، فأمر الشيخُ سعدًا وقال: اكتُب يا سعد إلى مدير مكتبنا الشيخ عبدالرحمن بن عتيق يُعطي المذكور أربعة آلاف ريال إذا كان لم يُصرَف له شيءٌ من قبل، فأخذ المسكين هذا المبلغ، ثم عمِل معروضًا آخَر وزوَّر الشرح الذي

---

(١) «صحيح البخاري» (١٠/ ٤٨٩-الفتح).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٩٦).

كتبه الأخ سعد، وبدلًا من أن يكتُب «ابن عتيق» كتاب «إلى مدير مكتبنا الشيخ ابن عثيمين[١]».

فلما أتى بالخطاب عُرف أنه مُزوَّر، فأخبر الموظفون الشيخَ، فجاء الجنود فقبضوا عليه ثم حُكِم عليه بالسجن فأدخِل السجن.

ثم بعد ذلك جاءت ورقةٌ يحملها أقاربُ ذلك الرجل بعد مُضي شهرين أو ثلاثة، وإذا في الورقة اعتذارٌ من ذلك الرجُل: بأني ـ يا شيخ ـ أخطأتُ عليك وقصَّرتُ في حقّك فأرجو أن تسامحني وأن تكون فرَجًا لي بعد الله.

فكتب الشيخُ إلى من له الأمر فأُفرِج عنه، فجاء ذلك الرجُل إلى الشيخ ثم أعطاه الشيخ مبلغًا من المال، وأصبح ملازمًا لمائدة الشيخ حتى مات الشيخ رحمه الله تعالى.

* **ومن ذلك**: أنّ الشيخ أعطى مسكينًا شيكًا بألفي ريال، لكن المسكين زاد في الشيك صفرًا فأصبح المبلغ عشرين ألف ريال، وصار العدد الرقمي في الشيك يُخالف العدد الكتابي، فأُعيد الشيك فرجع ذلك المسكين بالشيك إلى مكتب الشيخ، فأخبروا الشيخ بذلك وأنه زوَّر الشيك ، فلما علم الشيخ بذلك قال: مسكين، لعله محتاج اكتُبوا له شيكًا بعشرين ألف ريال وذلك لأنّ حاجتَه في عشرين ألف ريال.

* **ومما يدخُل تحت تواضعه ومحبَّته** رحمه الله **للفقراء وبخاصة طلبة العلم منهم**: ما أخبرني أخوه الشيخ محمد أنه لما كان في الدلم كانوا يلاحظون عليه قله أكله مع الأهل، فكلموه فكان جوابه بأنّ راحتَه الأكل مع المساكين.

وأخبرني الشيخ صلاح: أنه لم يره يأكل وحدَه، فالكرم صفة غالبة.. لا بل دائمة في الشيخ رحمه الله.

وفي حديث عبدالله بن سلام أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخُلوا الجنة**

---

(١) لاحظ التشابه في كتابة «ابن عتيق» و«ابن عثيمين».

بسلام»[(١)]. وفي حديث صُهيب الرُّومي أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**خيرُكم من أطعم الطعام وردّ السلام**»[(٢)].

وأحسب أنّ إمامَنا وشيخَنا ابنَ باز ممَّن ضرب مثالًا في الكرم أتعب به من عاصره وفاق به كثيرًا ممَّن قبله فيما نسمع، فلا تكاد مائدتُه تخلو من أحد، بل لو حلف أحدٌ على عدم خلوّ مائدته من أحدٍ فأحسب أنه لم يحنث.

* ومن عجيب محبة الشيخ للفقراء أنّ بعض الناس نقل إليه اقتراحًا مفاده: أنّ جلوسَك ـ يا شيخ ـ على الطعام يشارك فيه عربٌ وعجَم وفقراء وآخَرون من دهماء الناس، فلو كان لكَ مجلسُ طعامٍ خاص ولهم مجلس آخَر؟

فتغيَّر وجهُ الشيخ من هذه المقولة وقال: مسكين مسكين صاحب هذا الرَّأي! هذا لم يتلذّذ بالجلوس مع المساكين والأكل مع الفقراء.

ثم قال سماحتُه: «أنا سأستمرّ على هذا، وليس عندي خصوصيات، والذي يستطيع أن يجلس معي أنا وهؤلاء الفقراء يجلس، والذي لا يعجبه وتأبى نفسُه فليس مجبورًا على ذلك».

* واقترح عليه آخَر أن يرتاح بعد مجيئه من عمله فقال له الشيخ: يا سبحان الله! تريد أن آتي إلى بيتي وعشرات الناس ينتظرونني ـ من الضيوف والفقراء والمساكين وذوي الحاجات ـ فأترُكهم وأدعُ الجلوسَ معهم وأصعدُ إلى منزلي!؟ أين أنتَ من خلُق النبيّ ﷺ الذي كان لا يحتجب عن الناس؟ وكان ﷺ يقول: «**ابغوني في الضعفاء، فإنما تُرزَقون وتُنصَرون بضُعفائكم**»[(٣)].

ثم قال سماحتُه للذي أشار عليه: «إنني سأستمرّ على هذا ما استطعت». وقد فعل رحمه الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٥١)، والترمذي (٤/ ٥٦٣)، وابن ماجه (١٠/ ٤٢٣).

(٢) رواه أحمد والحاكم.

(٣) أخرجه أحمد والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

* **ومن ذلك**: ما حدّثني الشيخ أحمد بن محمد بن سنان[(١)] أثابه الله تعالى قال: حدث ذات يوم لما كان الشيخ في المدينة النبوية أنّ الشيخ عندما أمر الناس بالدخول لتناول طعام الغداء دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم وجلس أحدُ الفقراء على الصحن الذي يجلسُ الشيخ عنده، فقام أحدُ العاملين في منزل الشيخ فأقام الفقير من ذلك الصحن إلى صحنٍ آخَر.

قال الشيخ أحمد: وعندما خرج الناسُ وحان وقتُ العصر وخرجنا مع الشيخ في سيارته متّجهين إلى المسجد النبويّ سألني الشيخ: هل حصل على غدائنا اليومَ أمرٌ؟ فقلتُ للشيخ: يا شيخ، الشيخ إبراهيم الحصين موجودٌ معنا في السيارة وهو أقربُ الناس إليك، فسأله الشيخ فأجابه الشيخ إبراهيم بأن ليس هناك ما يُذكَر.

ثمَّ سأل الشيخُ السائقَ فأخبره السائقُ بما حصل من إقامة الفقير من صحنٍ إلى صحن آخر وأنّ هذا غاية ما في الأمر، فتأثّر الشيخُ وبدا عليه الغضب وقال: هل البيتُ بيته؟ لماذا أُقيم الفقير؟ لماذا لم يخبره بعدم الجلوس قبل أن يجلس؟

قال الشيخ أحمد: وعندما جلس الشيخُ كعادته بعد صلاة المغرب جاء ذلك الموظَّف الذي أقام الفقير ليصُبّ للشيخ القهوة، فلما مدّ الفنجال[(٢)] للشيخ زجَره الشيخ بكلمة، ثم تكلّم ـ رحمه الله تعالى ـ عن فضل الرِّفق بالفقراء، ثم بكى من التأثّر وبكى بعضُ من حضر مجلسَه ذاك.

ومن تواضع سماحته ومحبَّته للغُرباء: ما شاهدتُه بنفسي في منزل سماحته، وخلاصة الخبر أنّ ثلاثة أشخاص ممَّن لهم مكانةٌ في المجتمع بحسب وظائفهم

(١) الشيخ أحمد بن محمد بن سنان كان ممَّن صحب الشيخ عند سفره من الرياض إلى المدينة ومكث معه في بيته ثمانية عشر شهرًا.

(٢) الفنجال: قدَح صغير من الخزف ونحوه تُشرَب فيه القهوة ونحوها (مع) (ج) فناجيل، والفنجان: الفنجال (ج) فناجين. كذا في «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٠٢).

وهذا الرمز (مع) في «المعجم» يُستعمل للكلمة المعرَّبة: وهي اللفظة الأجنبية التي غيَّرها العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب. مقدمة «المعجم» (ص١٦).

الشرعية تناولوا طعام العَشاء معه، وفي أثناء الطعام سأل سماحتُه أحدَ الموظفين عنده في المنزل عن صاحبه الذي جاء ضيفًا عليه فدعاه إلى طعام الشيخ، فأخبره الموظف أنه جالسٌ معه على العَشاء، فرحَّب به الشيخ أطيبَ ترحيب وأخذ في سؤاله عن صحَّته وعن أهله وبلده.

ووالله لقد رأيتُ ذلك الضيف الغريب يتهلّل بشرًا بكلام سماحته وهو يُفيض في الإجابة عن كلام الشيخ والشيخُ منصتٌ له.

والشاهد من هذا: عدم انشغال الشيخ عن ذلك الضيف الغريب مع وجاهة أضياف الشيخ.

ومن ذلك: محبته للمغتربين من طلبة العلم. قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في أثناء كلامه عن أخلاق المحدِّث: «مبحث: إكرامه الغرباء من الطلبة وتقريبهم. ثم ساق بإسناده عن أبي هارون العبدي قال: كنا إذا جئنا أبا سعيد الخدري يبسُط لنا رداءً فيقول: اجلسوا على هذا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنه سيأتيكم أقوامٌ من أقطار الأرض يتفقّهون في الدِّين ويطلُبون حديثي، فإذا جاؤوكم فأكرِموهم**».

وعن علقمة قال: كان عبدالله ـ يعني ابنَ مسعود ـ يُقرِّبهم إذا أتوه ويقول: أنتم دواء قلبي.

وكتب أبو يعقوب البويطي إلى الربيع بن سليمان: أنِ اصبر نفسَك للغُرباء وأحسِن خُلُقك لأهل حلقتك»[١].

إنّ مما شاع واشتهر كثرةَ الوافدين إلى دروس الشيخ رحمه الله تعالى من طلبة العلم المغتربين، وهذا الأمر ليس جديدًا، بل عُرِف ذلك من خلال دروسه في مدينة الدلم لما كان قاضيًا فيها.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٤).

شاهد المقال: أنّ مما زاد أولئك المغتربين من طلبة العلم محبةً للشيخ وملازمةً لدروسه والتردُّد إلى مجالسه: ما لمسوه من تقديره لهم وترحيبه بهم ومساعدة من يحتاج المساعدة منهم، وقد نفع الله أولئك المغتربين ونفع بهم، فأصبح عددٌ منهم من طلبة العلم ومن الدعاة والمحقِّقين وغيرهم، زادهم الله من فضله وبارك في جهودهم.

بُعد الشيخ عن الشهرة

ويدخل تحت مبحث تواضعه: بُعده ـ رحمه الله تعالى ـ عن الشهرة وعدم طلبه لها، ولو أرادها لأتته من جميع وسائلها، ورحم الله الشيخ فقد طرد الشهرة ونبذها لكنها غلبت الشيخ بمحبة الناس له وبتتبعهم أخبارَه وشغفهم وشوقهم إلى سماع كلامه وحضور مجالسه ومواعظه.

ولقد كان البُعد عن الشهرة منهجًا للسلف الصالح؛ ذلك لأنّ طلب الشهرة من طُرُق الرِّياء والسُّمعة، ومن شواهد بُعد السلف وذمِّهم لطلب الشهرة ما ورد عن عُمر رضي الله تعالى عنه أنه رأى أناسًا يمشون خلف رجُل فضربه عُمر بالدِّرة وقال: إنها فتنةٌ للمتبوع مذلة للتابع![1].

ذلك لأنّ عُمر لما رأى أولئك يمشون خلفَه خشي على المتبوع من فتنة العُجب.

وقال حماد: كنتُ أمشي مع أيوب فيأخذ في طُرق إني لأعجَبُ كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يُقال: هذا أيوب[2].

وقال الإمام أحمد: أريد أن أكون في شِعب بمكة حتى لا أُعرَف وقد بُليتُ بالشهرة[3].

وقال بشر بن الحارث: ما اتقى اللهَ من أحبَّ الشهرة[4].

ولقد حصل للشيخ مرارًا أمورٌ تدعو إلى الشهرة فنبذها الشيخُ، ومن ذلك:

١- أن جريدة «المدينة» أرادت أن تُخرِج مُلحَقًا كاملًا في سيرته فرفض.

٢- وذات مرّة طلبتُ من شاعر شابّ أن يقول قصيدةً في سماحة الشيخ فيها ثناء على الشيخ ووعدتُه أن أشفع له عند الشيخ، فلما فرغ من القصيدة شفعتُ له عند الشيخ، فقال الشيخ لي: القصيدة في أيّ شيء؟ قلتُ: يا شيخ، أحسن الله إليك في

---

(١) «مسند الدارمي» (١/ ١٤٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٦).

شخصك الكريم. فقال: لا داعي لها. فقلت: يا شيخ، هذا الشاعر دبَّجها وقرَّضها وحرص على أن يُلقِيَها على مسامعك. فقال: لا داعي لها، يُلقي غيرَها خيرًا منها، فشفع بعضُ الإخوة عند الشيخ فوافق الشيخ.

٣- ومن عجيب بُعد الشيخ رحمه الله عن الشهرة ردّه على الشيخ محمد الهلالي رحمه الله عندما مدحه بقصيدة أطرى فيها الشيخ، فكتب الشيخ رحمه الله ما نصّه: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فقد اطلعتُ على قصيدة نُشِرت في العدد التاسع من مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس ـ الهند ـ لفضيلة الدكتور تقيّ الدِّين الهلالي، وقد كدّرتني كثيرًا وأَسِفتُ أن تصدُر من مِثله... وذلك لما تضمَّنتهُ من الغلوّ في المدح لي ولعموم قبيلتي وتنقّصه للزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم رحمه الله وتفضيلي عليه في الزهد، وعلى حاتم في الكرم، وتسويتي بشُرَيح في القضاء، إلى غير ذلك من المدح المذموم الذي أمر الرسول ﷺ بِحَثْيِ التراب في وجوه من يستعمله.

وإني أبرأ إلى الله من الرِّضا بذلك، ويعلمُ الله كراهتي له وامتعاضي من القصيدة لما سمعتُ فيها ما سمعت.

وإني أنصح فضيلتَه بالعود عن مثل ذلك، وأن يستغفر الله مما صدر منه، ونسأل الله أن يحفظَنا وإياه وسائر إخواننا من زلات اللسان ووساوس الشيطان، وأن يعاملنا جميعًا بعفوه ورحمته، وأن يختم للجميع بالخاتمة الحسنة، إنه خير مسؤول.

ولإعلان الحقيقة وإشعار من اطّلع على ذلك بعدم رضائي بالمدح المذكور جرى نشرُه، وصلى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهُداه إلى يوم الدِّين»[1].

٤- ومن الشواهد أيضًا على بُغضه ـ رحمه الله تعالى ـ للمدح: أنّ رجُلًا قدَّم محاضرةً لسماحته، وفي أثناء التقديم أثنى على الشيخ وبالغ في الإطراء والثناء، فقال أحدُ الحُضور

(١) «عيون المرائي البازية» (ص١٢).

لذلك المقدِّم: اتق الله في نفسك، ألا تعلمُ أنّ الشيخ يكرهُ المدح والثناء في الوجه، فقال سماحتُه رحمه الله تعالى: وأكرههُ كذلك من خلف ظهري[١].

٥- ومن عجيب حرص الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على نشر العلم والخير وعدم مبالاته بكثرة الجمع أو قلّته: ما حدّثني به الشيخ عبدالمحسن العبّاد ـ أثابه الله ـ أنّ الشيخ عمر فلّاته ذكر أنه عندما كان سماحةُ الشيخ يدرِّس في المسجد النبوي وكان يحضر حلقته عددٌ قليلٌ، بينما يجتمع الحشد الكثير عند غيره من الوُعَّاظ، فذُكِر له أنّ الحضور عنده قليل فقال سماحتُه: كم الحضور؟ عشرة؟ ثم قال: عشرة وبهم بركة إن شاء الله، أو كلمةً نحوها[٢].

وأختم هذا المبحث بخطاب من سماحته يظهر فيه حرص الشيخ على البُعد عن الشهرة، وكذا حرصه على عدم ظهور عمله.

اللهَ أسأل أن يجعلنا جميعًا من أهل الإخلاص في السرّ والعلن وفي القول والعمل، إنه تعالى سميعٌ مجيبٌ.

وهذا نصُّ الخطاب المذكور:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرّم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم اليحيى رئيس محاكم منطقة حائل، وفّقه الله للخير، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعده يا محبّ إليكم برفقه شيكا بثلاثمائة ألف ريال (٣٠٠٠٠٠) من فاعل خير بواسطتي أرجو احتساب الأجر في تشكيل لجنة من أهل الأمانة والخبرة لتوزيعها على خواصّ الفقراء، ولا يخفى على فضيلتكم أنّ هذا من التعاون على البرّ والتقوى، وأرجو أن يكون توزيعها سرا حتى لا يحصل على فضيلتكم ولا على اللجنة شيءٌ من الإحراج،

---

(١) أفاد بذلك الشيخ ربيع بن هادي أثابه الله تعالى خيرًا، كما حدّثني بذلك عنه أحدُ طلبة العلم من أهل الإمارات في ١٧/ ٤/ ١٤٢١هـ في مدينة العين في دولة الإمارات.

(٢) علّق فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد البدر هنا بقوله: «ولعلّ قلة العدد في ذلك الوقت راجعةٌ إلى عدم تفطُّن كثير من أهل الخير إلى أهمية طلب العلم وأثره في الفرد والمجتمع».

كما أرجو عدم الإخبار بوصولها من طريقي، أثابكم الله ومن يساعدكم على توزيعها وضاعف الأجر للجميع.

كما أرجو أيضًا أن يكون جوابكم لي فيما يتعلق بشأنها داخل ظرف باسم الابن إبراهيم بن عبدالرحمن الحصين بمكتبنا، حرصًا على عدم انتشار الخبر.

شكر الله سعيكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». الختم

صورة الخطاب السابق

صلته للرحم

كان الشيخ عبدالعزيز رحمه الله مثالًا في صلته لأخيه محمد الذي يكبُرُ الشيخَ ببضع سنين، وقد أخبرني أخوه محمد ـ وهو يسكن في الرياض ـ بأنّ سماحة الشيخ كان يزورُه قبل سفره من الرياض بكثرة، وعندما سافر الشيخ إلى الحجاز قال: إنّ سماحة الشيخ يتَّصل به يوميا حتى في اليوم الذي مات فيه يوم الأربعاء ليلة الخميس.

وقد رأيتُ سماحةَ الشيخ بعيني يُقبِّلُ رأسَ أخيه تقديرًا له، ومع كثرة زيارة الشيخ واتِّصاله بأخيه محمد فقد كان يُعاتِب أخاه محمدًا إذا زاره، يُريد بذلك أنّ أخاه أولى أن يُزار.

وقد أخبرني ابنُه أحمد أنّ الشيخ رحمه الله كان حريصًا على الاتِّصال بذويه، وبخاصة من كان منهم مريضًا.

عناية الشيخ بأهله

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١).

وذكر المنذِري في «الترغيب» أنّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «علِّموهم الخير»(٢).

وقال البيهقي في «السنن»(٣): «باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمرَ الطهارة والصلاة». ثم ساق بإسناده حديث: **«مُروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»**. وقال ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»**(٤).

وقد أخبرني ابنُه أحمد أنّ الشيخ رحمه الله كان يتَّصل بالهاتف الداخلي في البيت بأولاده يوقظُهم لصلاة الفجر، وكان إذا أيقظهم يُلقِّنُهم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور»؛ لأنّ النوم يُغالبُهم فيأمُرهم بإعادة الجملة النبوية حتى يتأكد أنهم تيقّظوا. وذكرت إحدى بناته ـ رحمه الله ـ أنها كانت تختلف مع بعض إخوانها في بعض أمور العبادة، ومن ذلك في أمر من أمور الوضوء، قالت: فأمر الشيخ بإحضار كتاب فقه فأمر بفتح باب الوضوء، ثم قرأناه عليه وشرحه وبصَّرنا فيه ثم قال: فهمتُم، قالوا: نعم، فحمد الله. فهكذا العالِم؛ يكون في أهله مدرسة، وفي مسجده مدرسة، ومع جيرانه مدرسة، وطالب العلم ينبغي أن يكون هكذا وأن ينفع الناسَ بما آتاه الله من العلم.

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦).

(٣) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٨٣-٨٤).

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه.

توقير الشيخ لمشايخه

قال ابنُ جماعة الكناني رحمه الله في كتابه «تذكرة السامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم»: «وينبغي له ـ أي لطالب العلم ـ أن يدعوَ له ـ أي لشيخه ـ مدَّةَ حياته ويرعى ذُرِّيتَه وأقاربَه»[(١)].

وكثيرًا ما دعا سماحة الشيخ لأشياخه، وقد كان سماحتُه يَذكُر مشايخَه بأسمائهم إذا سُئل عن سيرته العلمية، وقد يبكي أحيانًا خُصوصًا عند ذِكر شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمة الله على الجميع ـ، بل بلغ من توقيره له توقيرُه لأبنائه وزيارتُه لذوي الشيخ، وهذا من بِرِّ الشيخ عبدالعزيز رحمه الله بمن كان لهم عليه فضلٌ بعد الله تعالى. وهكذا ينبغي أن يكون طالبُ العلم، فيذكُر الفضلَ لأهل الفضل، ويعرفُ فضل مشايخه ويزورهم، بل إنّ بعضَ من كتب في آداب الطلب قالوا: ينبغي للطالب أن يتعاهد أهل شيخه، وأن يقضي حوائجَهم بِرا بشيخه. ولم يقف توقيرُه ومحبَّتُه عند مشايخه، بل تعدّى الأمرُ إلى أهل الخير ممَّن كان له فضلٌ في خدمة الإسلام والمسلمين، ومن الشواهد على ذلك:

أنّ سماحة الشيخ رحمه الله بلغه وفاةُ عبدالله بن صالح الفضل سفير السعودية في سوريا، وكان رجُلًا محبوبًا عند الشيخ لخُلقه ومسارعته في الخير، وقد دُفن رحمه الله تعالى في مكة، فذهب الشيخ إلى المقبرة للصلاة عليه، فصلى على قبر آخَر، ولما أخبرهم حارسُ المقبرة بمكان القبر الصحيح قال الشيخ: رحمك اللهُ يا فلان، كنتَ سببًا لفعل الخير للناس في حياتِك وبعد مماتِك. ثم صلى على قبره[(٢)].

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالِم والمتعلِّم» (ص٩٠).

(٢) أفادني بذلك الشيخ حسن عشيش في ١٦/ ٤/ ١٤٢١هـ في مدينة أبو ظبي في دولة الإمارات.

عناية الشيخ بالصغار

لقد عُني الإسلام عنايةً فائقة بالاهتمام بأمر الصِّغار وطُرق إصلاحهم، ذلك لأنّ صلاح الصغار وتنشئتهم نشأةً صالحةً تزيد قوّة البناء وتجعل الأجيال القادمة محفوظةً ـ بعون الله تعالى وفضله ـ من مُضلّات الفتن، وهذا مما يعود على الصغار بالنفع وعلى الكبار بالأجر.

ولقد جاءت نصوصٌ كثيرة في العناية بأمر الصغار وتعاهد شأنهم، فمن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1]. قال عليّ رضي الله عنه: «علِّموا أهليكم الخير»[2].

وثبت في السنّة أنه ﷺ قال: «**علِّموا الصبيَّ الصلاةَ ابنَ سبع سنين، واضربوه عليها ابنَ عشر**». أخرجه البيهقي وبوَّب عليه: «باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة»[3].

وقال الإمام ابنُ حزم رحمه الله تعالى: «وكذلك ينبغي أن يُدرَّبوا ويُعلَّموا الشرائع من الصلاة والصوم إذا أطاقوا ذلك، ويُجنَّبوا الحرام كلَّه»[4].

وكان ! ﷺ يهتمّ بتعليم الصغار وتربيتهم، وشواهد ذلك في السنَّة كثيرة، فمن ذلك:

١ - ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: أخذ الحسنُ بن عليّ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبيُّ ﷺ: «**كخ كخ!**» ليطرحها، ثم قال: «**أما شعرتَ أنّا لا نأكُل الصدقة؟**». أخرجه البخاري[5].

وذكر الحافظ في أثناء عدِّه لفوائد الحديث: تأديب الصغار بما ينفعُهم ومنعهم مما

---

(١) التحريم: ٦.

(٢) «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٦).

(٣) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/ ٨٣-٨٤).

(٤) «المحلى» (٧/ ٢٧٦).

(٥) «فتح الباري» (٣/ ٤١٤).

يضرُّهم ومن تناول المحرَّمات وإن كانوا غيرَ مُكلَّفين ليتدرَّبوا بذلك.

٢- وعن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كنتُ غُلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيشُ في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سَمِّ اللهَ وكُل بيمينك وكُل ممَّا يليك**»، فما زالت تلك طعمتي بعدُ. أخرجه البخاري(١).

ومن جميل فوائد هذا الحديث: تأثّر الصغير بالتعليم وبقاء ذلك الأثر في نفسه دائمًا.

٣- ومن شواهد تربية الصغير وتعليمه: ما أخرجه البخاري(٢) عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: «صليتُ مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ فقُمتُ عن يساره، فأخذ رسول الله ﷺ برأسي من ورائي فجعلني عن يمينه...».

٤- وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: دخل النبيُّ ﷺ الخلاءَ فوضعتُ له وَضوءًا فقال: «**من وضعَ هذا؟**»، فأُخبِر فقال: «**اللهمَّ فقِّهه في الدِّين**»(٣).

وقد كان سماحة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرَ الملاطفة والتعليم للصِّغار، ومن شواهد ذلك:

* كثرة استقباله لطُلاب المدارس.

* عُرف عنه أنه عندما يُصافحُه أحدُ الصغار يأخذ في سؤاله عن ربِّه وعن دينه وعن نبيِّه.

* تقول إحدى بناته: إنها عندما كانت صغيرةً كانت تُخطئ في ترتيب الوضوء، واختلفت مع أحد إخوانها، فأخبروا سماحتَه فجمعهُم ثم أمر بإحضار أحد كتُب الفقه وطلب مبحث صفة الوضوء، وطلب منها القراءة، قالت: فعرفتُ خطئي، ثم شرحَ لي صفة الوضوء فقال: هل عرفتِ؟ فقلتُ: نعم. فحمد الله.

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٤٣١).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

(٣) أخرجه البخاري.

معرفة الشيخ بحال المسلمين

معرفة حال المسلمين ليس بمجرَّد جمع الأخبار على هناتها وعلَّاتها، بل باستقراء حال المسلمين ومعايشتهم ومعرفة ما يُكادُ لهم وتفويض من يوثَق في علمه بنقل أخبارهم وحالهم إليه، ثم يعالج قضايا المسلمين بالعلم الشرعيّ لا بالعاطفة المجرَّدة.

والشيخ رحمه الله من أكثر الناس فيما يعرف إحاطةً بمعرفة حال المسلمين، بل ومن أدرى الناس بعلاج قضاياهم ومشكلاتهم بما آتاه الله عزوجل من معرفة الكتاب والسنة، وإنّ الإنسان ليعجب من إدراك الشيخ وسعة اطّلاعه ومعرفته بحال المسلمين.

ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:

أولًا- نشرُه وإكثاره الكلام عن العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص.

ثانيًا- تحذيرُه وردُّه القولي والكتابي على كثير من البدع، مثل المولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان. انظر ما جمعه الدكتور محمد الشويعر (١/ ١٨٣، ١٨٨، ١٩١) و(٥/ ٥٦).

وبدع في شهر رجب (١١/ ٤٢٧)، والمصافحة بعد الفريضة (١١/ ١٩٩)، وحسينيات الرافضة (٨/ ٣٢٠).

ثالثًا- التحذير والردّ على كثير من الطوائف والفرق المنحرفة، مثل: نقد القومية العربية. انظر (١/ ٢٨٤)، والنظام الاشتراكي (٧/ ٣٩٤)، والبوذية (١/ ٤٤١)، والعقيدة الصوفية (٩/ ٤٥٧)، والسماانية الصوفية (٦/ ٣٢٨)، والتيجانية (٦/ ٣٣٠)، والبابية والبهائية (٧/ ٤٠٣)، والحبشية (٩/ ٣١٥)، والتبليغ (٩/ ٣٠٧ و٨/ ٣٣١).

رابعًا- التفاعُل مع مُصَاب الإسلام والتعاطف معهم، فمن ذلك تعاطفه مع ما جرى في البوسنة والهرسك. انظر: (٨/ ٢٥٦، و٧/ ٣٥٦، و٦/ ٤١٩)، والشيشان (٨/ ٢٦٦)، والاعتداء على المسجد البابري (٧/ ٣٥٠)، وكذلك تفاعله مع المسلمين

المصابين عند حدوث الزلازل والأعاصير والفيضانات في بلادهم (٦/ ٢٦٩، و٩/ ١٤٨)، ومعرفته بالأقليات الإسلامية (٢/ ٣٧٠).

وكذلك مناصرته للأخوات المسلمات في سويسرا في غيرتهنّ ونصحهنّ حينما عرض التلفزيون السويسري فيلمًا عن الإسلام والمسلمين في مصر يشتمل على مشاهد ليست من الإسلام، إذ عرض ما يجري عند الأضرحة وفي حفلات المزار ومولد البدوي وغيرها من الأمور المبتدَعة، وكذلك عرض لقطات لامرأة مسلمة!! بلبس عارٍ أمام الرِّجال، ثم وهي تصلي وتلبس الطرحة، ثم وهي تُراقص صديقها[1].

خامسًا- إرسال الدعاة إلى مختلف البلدان لتعليم الناس التوحيد والسنّة، ومتابعة عملهم ودعمهم، مثل:

إرسال دعاة إلى أمريكا (٦/ ٢٣٥ و١٠/ ١٦٧)، وإرساله الشيخ الأرنؤوط إلى كوسوفا عام ١٣٨٠هـ فقد حدّثني الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط أنّ الشيخ عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ لما علم بمعرفته للُّغة البوسنية أرسله إليهم وأمره بتعليمهم التوحيد.

سادسًا- تحذيره من بعض الكتُب وكشفه عن بعض أخطائها وردّه على بعض الكُتَّاب والمجلات والصحف، مثل ردّه على ما نُشر في مجلة «المصور»، ومجلة «اقرأ»، وصحيفة «البلاد». انظر: (٣/ ١٥٦، ١٧٠ و٨/ ٣٧٩ و٣/ ٢٠٢).

وكذلك تنبيهُه على ما جاء في برنامج إذاعي (٦/ ٣٤٢).

ردّه على صالح محمد جمال حول الآثار الإسلامية (١/ ٤٠٥).

والردّ على مصطفى أمين حول آثار المدينة وقبورها (١/ ٣٩٥).

وتنبيهه على وجود أخطاء في خُطب ابن نباتة (١٢/ ٤١٩).

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٨١).

وتعقيبه على شيخ الأزهر جاد الحقّ حول علاقة الإسلام بالأديان الأخرى (٨/ ١٩٠).

وملحوظاته على بعض كتُب عبدالرحمن عبدالخالق (٨/ ٢٤٠).

وتعقيبه على القرضاوي في الصلح مع اليهود (٨/ ٢٢٦).

وتعقيبه على شيخ الأزهر عبدالحليم محمود في وصيته بدفنه في المسجد (٨/ ٣٣٣، و١٠/ ٣٠٠).

والردّ على صالح محمد جمال عند اعتراضه على خطيب المسجد الحرام في المولد النبوي وولائم العزاء (٢/ ٣٥٢).

والردّ على هيئة الإذاعة البريطانية (٢/ ٣٨٠).

والردّ على رشاد خليفة في إنكاره للسنّة (٢/ ٤٠٠).

وتحذيره من كتاب «درة الناصحين»، كما في (٦/ ٤٠٧).

وبيان كُفر روجيه جارودي الفرنسي الذي ادَّعى دخولَه في الإسلام (٩/ ١٩٣).

وتعقيبه على محيي الدين الصافي حول صفات الله عزوجل (٢/ ٩٨).

وتنبيهه على ذكره الصابوني في مقابلته مع مجلة «المجتمع» (٣/ ٥١).

وبيان أنّ الدين ليس في قشور (٦/ ٣٢٣).

وبيان حكم توظيف النساء في الدوائر ومخاطره (٦/ ٤٢٨).

وبيان حكم من يحتكم إلى القوانين الوضعية (١/ ٢٥٧)، وحكم من يدرسها (٢/ ٣٢٥).

وبيان حكم عيد الأم والأسرة (٥/ ١٨٩).

وبيان حكم من وصف أهل الدِّين بالتطرّف (٦/ ٥١، و٨/ ٢٣٣).

والردّ على من أنكر تعدّد الزوجات (٣/ ٢٩٩).

والردّ على من أنكر دخول الجنّي في الإنسي (٣/ ٢٩٩، و٨/ ٥٧، ٣٨٣).

والردّ على من زعم إباحة تحديد النسل (٣/ ٣٢٦).
والتحذير من مؤتمر بكين عن المرأة (٩/ ٢٠٣).
والتحذير من إخراج فيلم محمد رسول الله ﷺ (١/ ٤١٧).
والتحذير من وصية أحمد خادم الحُجرة (١/ ١٩٨).
وكلامه عن الغزو الفكري (١/ ٣٨٩، ٣/ ٤٣٨).
وعن الجهاد ضدّ اليهود في هذا الزمن (٢/ ٤١٣، ٨/ ٢٢٦).
والصعود إلى الكواكب (١/ ٢٥٩).
مع قائمة من رئاسة الإفتاء بمنع بعض الكتُب.

سابعًا- تشجيع المراكز القائمة على الدعوة إلى التوحيد والسنّة.

ثامنًا- مناصحتُه لحُكام المسلمين وشعوبهم. انظر: (٣/ ٢٤٢، ٦/ ٦٢-٦٣، ٢/ ١٦١).

ونصيحتُه لبعض أرباب الولايات الصغيرة (٦/ ٢٢٩).
ونصيحته إلى المسؤولين من شعب الأفغان (٨/ ٢٤٧، ٩/ ٢٤٠).
ونصيحتُه إلى المسؤولين من شعب اليمن (٨/ ٢٥١).
ونصيحتُه إلى بعض أمراء الخليج (٦/ ٢٢٨).
ونصيحتُه إلى الشعب الكويتي والشعب العراقي وأهالي الشهداء (٦/ ١٨٠).
ونصيحتُه إلى الملك فيصل (٦/ ٧٢).
ونداء إلى قادة المجاهدين الأفغان (٧/ ٣٤٦، ٥/ ١٤٨).

ومن حكمة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وسياسته الشرعية: شُكره لأهل الحلّ والعقد عندما يحصُل منهم ما يوجب ذلك، ومن شواهد ذلك هذا الخطاب الموجَّه من سماحته إلى الملك حسين ـ ملك الأردن السابق ـ حيث جاء في خطاب[1] سماحته

(١) صدر هذا الخطاب في ١٤/ ١١/ ١٤١٧هـ.

ما نصُّه:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة جلالة الملك الكريم حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية ـ عمَّان ـ وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينَه، آمين. سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فلقد أبلغني صاحبُ الفضيلة الشيخ سعد بن عبدالرحمن الحصين الملحَق الدِّيني بسفارة المملكة العربية السعودية في عمان في كتابه المؤرَّخ في ٥/ ١/ ١٤١٧هـ أنَّ جلالتكم قد منع إقامة تمثال لكم في عمَّان، فسرَّني ذلك كثيرًا، وشكرتُ لجلالتكم هذا العمل، ورأيتُ الكتابةَ إلى جلالتكم في ذلك شاكرًا وراجيًا من جلالتكم إصدارَ الأمر الكريم بتحكيم الشريعة المطهَّرة في المملكة الأردنية الهاشمية في جميع الشؤون، كما حكم بها جدُّكم أفضل الخلق محمدٌ ﷺ وحكم بها خلفاؤه الرَّاشدون وأئمة الهدى بعدهم؛ عملًا بقول الله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[(١)]،وقوله عزوجل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[(٢)] وقوله عزوجل ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٣)]،وقوله عزوجل ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[(٤)].

ولا يخفى على مثل جلالتكم أنَّ في تحكيم الشريعة المطهَّرة صلاحَ أمر الدنيا والآخرة والفوز بالسعادة الأبدية.

فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يشرحَ صدرَكم لذلك ويُعينكم عليه، وأن يُصلح لكم البطانة، وأن يُعيذَنا من مُضلات الفتن وبطانة السوء ونزغات

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) المائدة: ٤٧.

الشيطان، إنه جوادٌ كريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

وهكذا ينبغي على صاحب العلم أن يُشارِك المسلمين آلامَهم وآمالَهم، وأن يتفقّد حالَ المسلمين لا بالعاطفة فحسب، فالعواطف قد تنقلب إلى عواصف إذا لم تُزمّ بزمام العلم الشرعيّ، وليتذكر قولَ النبيِّ ﷺ: «**إنّ بالمدينة أقوامًا ما سِرتُم مسيرًا ولا قطعتُم واديًا إلا كانوا معكم**». قالوا: يا رسولَ الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسَهم العُذر**»[(٢)].

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوِّعة» (٩/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري عن أنس.

إنزال الناس منازلهم

ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننزل الناسَ منازلهم**»[١].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: «مبحث في تعظيم من كان رأسًا في طائفته وكبيرًا عند أهل نحلته». ثم ساق الحديث السابق، وساق بإسناده قولَه ﷺ: «**إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرِموه**».

وذكر أيضًا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرِم وجوهَ الناس»[٢].

وفي إنزال الناس منازلَهم كسبٌ لقلوبهم واختصار لجهود كثيرة، وقبل هذا كلِّه اقتداء بهدي النبيّ ﷺ ، فقد كان ﷺ يُنزِل الناسَ منازلهم، وهذا من السياسة الشرعية التي تعود على الدَّاعي والمدعوّ بالمصلحة.

وشواهد ذلك كثيرة؛ ومن ذلك:

كتاب النبيِّ ﷺ إلى هرقل، وفيه: «**من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الرُّوم...**».

ذكر الحافظ ابنُ حجر عن قوله: «**عظيم الرُّوم**» أنّ النبيَّ ﷺ لم يُخْلِه من إكرام لمصلحة التألُّف[٣].

---

(١) ذكره مسلمٌ في مقدمة «صحيحه» بلا إسناد تعليقًا (١/ ١٦). وأخرجه بلفظ: «**أنزلوا...**» أبو داود في كتاب الأدب، باب (٢٣) رقم (٤٨٤٢) (٥/ ١١٢).
وقد ورد من غير حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر تفصيل ذلك في كتاب «المقاصد الحسنة» للسخاوي الحديث رقم (١٧٩)، وقد قال في آخر كلامه: «وبالجملة؛ فحديث عائشة حسن».

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٧٣).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٥٠).

وسماحةُ الشيخ رحمه الله قد سار على هذا المنهج في خطاباته ونصائحه لكُبراء القوم، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- نصيحتُه رحمه الله لقادة الدول العربية بمناسبة اجتماعهم لَمَّا كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٧هـ، حيث قال:

«حضرات أصحاب الجلالة والفخامة من قادة الدول العربية وفقهم اللهُ لما فيه رضاه وصلاح أمر عباده، آمين. سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فبمناسبة هذا الاجتماع العظيم الذي تعلق عليه الشعوب...»[١].

٢- رسالته إلى بعض أمراء الخليج لوجود قبر يُعبَد من دون الله في بلده، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأمير المكرَّم... وفقه الله ونصر به الحقّ...»[٢].

٣- وصيتُه لبعض الأمراء بمناسبة تعيينه أميرًا على إحدى المناطق، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة صاحب السموّ الملكي الأمير المكرّم... وفقه الله للخير...»[٣].

٤- نصيحتُه لرئيس دولة أفغانستان والمسؤولين فيها عام ١٤١٦هـ، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية إلى حضرة الأخ الكريم فخامة رئيس دولة أفغانستان الإسلامية...»[٤].

٥- نصيحتُه للملك فيصل بن عبدالعزيز حول الدعوة إلى الله لما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، حيث قال:

---

(١) «مجموع مقالات وفتاوى متنوعة» (٦/ ٦٣).
(٢) المرجع السابق (٦/ ٢٢٨).
(٣) المرجع السابق (٦/ ٢٢٩).
(٤) المرجع السابق (٩/ ٢٤٠).

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة جلالة الملك المعظم فيصل بن عبدالعزيز وفّقه الله لكلّ خير وبارك في حياته، آمين...»(١).

٦- شُكره للملك حسين على منع إقامة تمثاله، وذلك عام ١٤١٧هـ، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة جلالة الملك الكريم حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية ـ عمّان ـ وفقه الله لما فيه رضاه ونصر به دينَه، آمين...»(٢).

٧- خطابه لأحد الأمراء حول قضية إسلام امرأة وبقائها في وظيفتها، وذلك عام ١٤١٦هـ، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة سموّ الأمير المكرَّم وفقه الله لكلّ خير...»(٣).

٨- خطابه لوزير التعليم العالي بشأن إقامة محاضرات في الجامعات، وذلك عام ١٤٠٠هـ، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرَّم معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ حفظه الله...»(٤).

٩- رسالته إلى شيخ الأزهر حول وصيته بدفنه في المسجد، حيث قال:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرّم سماحة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر وفقه الله...»(٥).

---

(١) المرجع السابق (٦/ ٧٢).
(٢) المرجع السابق (٩/ ٤٤٨). وراجع (ص١٠٩) من هذا الكتاب.
(٣) المرجع السابق (٩/ ٤٥٩).
(٤) المرجع السابق (٦/ ٢٤٤).
(٥) المرجع السابق (٨/ ٣٣٣).

آخر أيام الشيخ

قال ابنُه أحمد: «لاحظتُ على والدي في الأيام الثلاثة الأخيرة أمرين اثنين:

الأول: أنّ قواه البدنية قد ضعُفت.

الثاني: أنّ نَفَسَه يتلاحق.

ومع هذا كلِّه كان يتحامل على نفسه، فقد استقبل الناسَ مساء يوم الثلاثاء كعادته، وكذلك في صباح يوم الأربعاء، ومغرب الأربعاء الأخير في حياته، يقول أحمد: أجلسناه على كرسيه، وكعادته رحمه الله استقبل الناس، وصلى العِشاء يوم الأربعاء في منزله؛ لأنه كان مُتعَبًا ولم يأكُل شيئًا رحمه الله لعدم شهيّته الأكل.

وقد أخبرني الشيخ صلاح ـ وهو أمين مكتبة الشيخ ـ عمّا جرى له مع الشيخ يومَ وفاته، فقال: «ودّعني الشيخ وداعًا لم أعهدهُ من قبل».

وقال أحمد: «والعجيب أنّ أولاده اجتمعوا عنده بعد العشاء من ذلك اليوم بدون موعد سابق، وجلسوا معه إلى الساعة العاشرة أو العاشرة والنصف».

قال: «ولما حضرت الساعة الواحدة والنصف أخبرت أم أحمد ـ وفقها الله ـ أنّ الشيخ لم يأكل شيئًا».

قال أحمد: «فدخلتْ عليه فحاولت أن يأكل، لكنه لم يأكل شيئًا».

قال: «وفي الساعة الثانية والنصف أو الثالثة ذهب إلى دورة المياه بنفسه رحمه الله دون مساعدة وتوضّأ كعادته، ثم صلى واضطجع».

قالت أم أحمد: «ثم جلس وتلفت يمينًا وشمالًا ثم تبسَّم». وسألته أم أحمد وفقها الله: هل تريد شيئًا؟ كأنها استغربت من الشيخ فلم يردّ عليها، وإنما سألته لأنها لاحظت أنّ قيامه وتبسّمه لحاجة.

قالت: فاضطجع مرَّة أخرى بعد أن توضأ وتبسَّم وصلى، وله نفَس متزايد بصوت مسموع.

قال أحمد: دخلتُ عليه وناديتُه بعد أن أخذتُ بيده وهو مضطجع فلم يرُدّ عليَّ شيئًا على غير عادته، فاتّصلنا بالمستشفى وكان معهم في المنزل خال لأحمد طبيب. قال

أحمد: فجاء الخال الساعة الرابعة، ثم جاءت سيارة الإسعاف فنقل إليها، فذهبوا به إلى المستشفى فعملوا له تنفّسًا صناعيا وحاولوا، لكن الأطباء أخبروا أنه قد قضى نحبه رحمه الله تعالى.

وما كان قيسٌ موتُه موتُ واحدٍ ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما

مع المحبرة إلى المقبرة

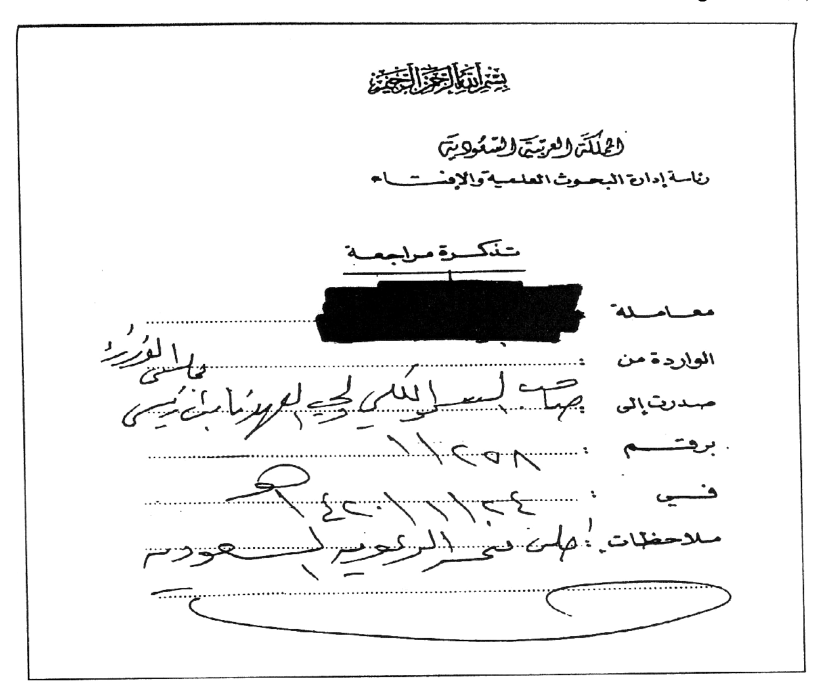
ضرب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مثلًا عظيمًا في الجَلَد والصبر واستمرار العطاء الخيري إلى آخر أيامه، بل آخر يومٍ من عُمره.

يؤكّد ذلك أربعة أمثلة فيما وقفتُ عليه:

الأول: مجلسه الأخير يوم الأربعاء كان فيه جمعٌ من الناس كعادته في مجالسه.

الثاني: شفاعتُه ـ رحمه الله تعالى ـ عند ولاة الأمور لبعض المستحقّين للشفاعة، وذلك بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٤٢٠هـ.

وإليك صورة الشفاعة:



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

تذكرة مراجعة

معاملة: ....

الواردة من: مجلس الوزراء

صدرت إلى: ....

برقم: ١١٢٥٨

في: ٢٤/١/١٤٢٠

ملاحظات: ....

الثالث: صدور بيان اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسته في شأن الردّ على دُعاة الاختلاط والتبرُّج، وكان تاريخ البيان ٢٥/ ١/ ١٤٢٠هـ، وهذا نصّه:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهُداه، وبعد:

فمما لا يخفى على كلِّ مسلم بصير بدينه ما تعيشُه المرأة المسلمة تحت ظلال الإسلام ـ وفي هذه البلاد خصوصًا ـ من كرامة وحشمة وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافًا لما كانت تعيشُه في الجاهلية وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لآداب الإسلام، من تسيُّب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكُر اللهَ عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أنّ هناك فئات من الناس ممَّن تلوّثت ثقافتُهم بأفكار الغرب لا يُرضيهم هذا الوضع المشرِّف الذي تعيشه المرأة في بلادنا؛ من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة والبلاد العلمانية، فصاروا يكتُبون في الصحف ويُطالبون باسم المرأة بأشياء تتلخص في:

١ - هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾![1]، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[3]، وقول عائشة رضي الله عنها في قصة تخلّفها عن الرَّكب ومرور صفوان بن المعطّل رضي الله عنه عليها وتخميرها لوجهها لما أحسَّت به، قالت: «وكان قد رآني قبل الحجاب». وقولها: «كنا مع النبيِّ ﷺ ونحن مُحرِمات فإذا مرَّ بنا الرِّجال سدلت إحدانا خمارَها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه». إلى غير ذلك مما يدُل على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من

(١) الأحزاب: ٥٩.
(٢) الأحزاب: ٥٣.
(٣) النور: ٣١.

الكتاب والسنة، ويُريد هؤلاء منها أن تُخالِف كتابَ ربِّها وسُنّة نبيِّها وتصبح سافرةً يتمتّع بالنظر إليها كلّ طامع وكلّ من في قلبه مرض.

٢- ويُطالبون بأن تمكَّن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتّب على ذلك من مفاسد وما يُعرّضها له من مخاطر لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويُطالبون بتصوير وجه المرأة ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي ويطمع فيها كلّ من في قلبه مرض، ولا شكّ أنّ ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- ويُطالبون باختلاط المرأة والرِّجال، وأن تتولى الأعمال التي هي من اختصاص الرِّجال، وأن تترُك عملَها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعُمون أنّ في اقتصارها على العمل اللائق بها تعطيلًا لها!

ولا شكّ أنّ ذلك خلاف الواقع؛ فإنّ توليتها عملًا لا يليق بها هو تعطيلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة من منع الاختلاط بين الرِّجال والنساء، ومنع خلو المرأة بالرجُل الذي لا تحلّ له، ومنع سفر المرأة بدون محرم؛ لما يترتّب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تُحمَد عُقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرِّجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرِّجال، ورغّب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله، وبيوتُهنّ خيرٌ لهنّ**». كلّ ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نسائهم، وأن لا يلتفتوا إلى تلك الدِّعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدِّعايات وانخدعت بها من عواقب وخيمة، فالسعيد من وُعِظ بغيره.

كما يجب على وُلاة الأمور في هذه البلاد أن يأخُذوا على أيدي هؤلاء السُّفهاء ويمنعوا من نشر أفكارهم السيِّئة؛ حمايةً للمجتمع من آثارها السيِّئة وعواقبها الوخيمة.

فقد قال النبيُّ ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرِّجال من النساء**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**واستوصوا بالنساء خيرًا**». ومن أسباب الخير لهنّ المحافظةُ على كرامتهنّ وعِفّتهنّ وإبعادهنّ عن أسباب الفتنة.

وفّق الله الجميعَ لما فيه الخير والصلاح، وصلى اللهُ وسلّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

[الرابع: فتوى في الطلاق أصدرها قبيل موته ذُكر لي ذلك عن فضيلة الشيخ عبدالمحسن البنيان مدير مركز الدعوة والإرشاد في الدمام سابقًا، وقد أرسلت إلى فضيلته طالبًا منه أن يتكرّم مشكورًا بكتابة القضية، فكتب إليّ كتابًا بتاريخ ١٢/ ٢/ ١٤٢٣هـ جاء فيه: ... أنه ألقى محاضرةً عن حياة سماحته في ١٧/ ١/ ١٤٢٣هـ، إلى أن قال:

«... وذكرتُ صبره وجَلَده رحمه الله حتى آخر سويعاته في قضاء حوائج المسلمين والنظر في مسائلهم وإصدار الفتاوى اللازمة، وذكرت آخر فتوى وردتني من سماحته قد صدرت منه قبل صعود روحه الطاهرة إلى بارئها بأربع ساعات فقط، حيث كنتُ أعمل حينذاك مديرًا لمركز الدعوة والإرشاد في الدمام قبيل تقاعُدي، ذلك أنه في يوم الثلاثاء ٢٤/ ١/ ١٤٢٠هـ حضر لديّ شابٌ قد طلّق زوجته بالثلاث، وهو من أهل الأحساء ولكنه يقيم في الدمام لأنه يعمل في شركة «آرامكو السعودية»، وطلب رفع قضيته لسماحة المفتي، وبعد ضبط إفادته وإفادة زوجته وبحضور والدها وعمّها سألتُ الزوج إن كان يريد استلام الأوراق لتسليمها شخصيا لمكتب سماحة المفتي بالطائف كما يفعل كثيرٌ من المستفتين الذين يريدون الحصول على الفتوى بوجه السرعة، فاعتذر بحجّة ارتباطه بعمله في «آرامكو» ومناوبته المتنقلة بين الليل والنهار، وحيث إنّ والد الزوجة مسنّ ويصعب عليه الشخوص بالأوراق إلى الطائف، فقد تبرّع عمّ الزوجة فأخذ الأوراق وسافر بها يوم

الأربعاء صباحًا فوصل الطائف في الساعة الحادية عشر صباحًا، ولما راجع مكتب سماحة المفتي وعلم المسؤول هناك أنّ المذكور يحمل طلب فتوى في طلاق وجّهه لمراجعة بيت سماحة المفتي؛ لأنه لم يحضر ذلك اليوم بسبب توعّك صحّته، فذهب إلى البيت وسلّم الأوراق لفضيلة الشيخ محمد الموسى حفظه الله، فقال له بأنّ سماحة الشيخ لم يجلس ذلك الصباح وربما يستطيع الجلوس في المساء وقال له: أعطني رقم هاتفك الجوال فإذا جلس الشيخ اتّصلتُ بك فإن كنت قريبًا لم تغادر الحجاز أمكنك الرجوع لأخذ الفتوى، فأعطاه رقم جواله ثم عزم على تأدية مناسك العمرة فنزل إلى مكة.

يقول عمّ الزوجة: فبينما أنا أسعى بين الصفا والمروة بعد صلاة المغرب وإذا بالشيخ محمد الموسى ـ جزاه الله خيرًا ـ ووفّقه يتّصل بي ويخبرني أنّ الشيخ جلس وأنّ أوراقي ستُعرَض على سماحته وطلب منّي أن أعود لاستلام الفتوى.

فعاد فوجد أنّ الإجابة قد حُرِّرت. يقول: فسلمت على سماحة الشيخ وقبّلت رأسه وعرّفتُه بنفسي، فعرض عليّ العشاء وألزم عليّ كعادة سماحته رحمه الله، فاعتذرت حيث إنّ موعد إقلاع الطائرة قريب، وكان رحمه الله يتمتع برباطة الجأش وقوّة الشخصية رغم ظهور آثار المرض عليه، وكان ذهنُه يتّقد حدّةً وذكاءً والكُتّاب يَعرضون عليه الأوراق والمعاملات ويملي عليهم وهم يكتبون دَينًا ويناولهم الختم فيختمون، فغادرتُ منزله وأنا أدعو اللهَ من خالص قلبي وعُدت إلى المنطقة الشرقية، وفي الصباح ذهلت وأنا أستمع إلى نعيه وخبر وفاته من وسائل الإعلام.

أوراق هذه الفتوى موجودةٌ في ملف فتاوى الطلاق في مركز الدعوة والإرشاد في الدمام لمن أراد الرجوع إليها].

جنازة الشيخ

قال النبيُّ ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشُدّ بعضُه بعضًا**». أخرجه الشيخان[(١)] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه.

وقال النبيُّ ﷺ: «**المؤمنون كرجُل واحد؛ إن اشتكى رأسُه تداعى له سائرُ الجسد بالحمَّى والسهر**». أخرجه مسلم[(٢)] عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

لقد ضرب لنا مجتمع الرَّعيل الأوّل من أصحاب النبيِّ ﷺ أروعَ الأمثلة في توحُّد شعورهم ألمًا وأملًا.

فكان غائبُهم يشارك حاضرَهم في شعوره، يُصدِّق ذلك قول النبيِّ ﷺ لما رجع من غزوة تبوك: «**إنّ بالمدينة أقوامًا ما سرتُم مسيرًا ولا قطعتُم واديًا إلا كانوا معكم**». قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسَهم العُذر**». أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

وسار على هذا المنوال أصحابُ القرون المفضَّلة، فكانوا خيرَ أتباعٍ لخيرِ أصحابٍ.

وهكذا فإنّ مرض المسلم مرضٌ للجميع، وفقره فقر للجميع، وموته موتٌ للجميع، كالجسد الواحد إن اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى.

أخرج الإمام اللالكائي عن أيوب السختياني ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: «إني أخبَرُ بموت الرجُل من أهل السنّة فكأنِّي أفقدُ بعضَ أعضائي».

وأخرج عن حماد بن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: «كان أيوب يبلُغه موتُ الفتى من أصحاب الحديث فيُرى ذلك فيه».

فإذا كان هذا شعورُهم عند موت الفتى والرجل العادي من أهل السنّة، فكيف

---

(١) «صحيح البخاري» (فتح ١٠/ ٤٦٤)، و«صحيح مسلم» (٤/ ١٩٩٩).

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٠٠).

تكون حالُهم عند موت أحد علماء السنّة؟

وقد ضمَّت دواوين التاريخ وكتبُ التراجم بين دفاتها أروعَ الأمثلة في تصوير التكاتُف لأهل الإسلام أجمع، وكيف كان المجتمع المسلم ـ بجميع طبقاته ـ يتأثر عند موت أحدِ علماء السنة.

إنّ موت العالِم يقضّ المضاجع، ويُهيل المدامع، وكيف لا يكون الأمر كذلك وموتُ العالِم موتٌ لخير كثير؟! فحياة العالِم غنيمة وموتُه مصيبة.

ومن الشواهد على مصيبة المجتمع في موت العالِم: ما رواه النقَلَة في وصف جنازة الإمام أحمد رحمه الله تعالى، فقد تأثر الناسُ عند مرضه، وزاد تأثُّرُهم عند خبر موته رحمه الله تعالى، فقد جاء في ترجمته:

أنه لما تسامع الناسُ بمرضه دخلوا عليه أفواجًا يُسلِّمون عليه، فكثُر الجمع، ثم أُغلِق بابُ الدرب إلى بيته، فكان الناسُ في الشوارع والمساجد حتى تعطّل الباعة، فلما ترامت الأنباءُ بموته أجهشت الأصواتُ بالبُكاء.

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «فصاحَ الناسُ وعلَتِ الأصوات بالبُكاء، حتى كأنّ الدنيا قد ارتجت، وامتلأت السِّكك والشوارع»[(١)].

وقد ورد في الأخبار: أنّ تلك الجنازة كانت من أعظم جنائز الإسلام، في كثرة من حضرها وشيَّعها، فقد تزاحمت الجُموعُ الغفيرة، وقُدِّرت الأعداد بمئات الآلاف من المسلمين، وحزن الجميع عليه، حتى قال عليّ بن حريث: «ما من أهل بيت لم يدخل عليهم الحزن يومَ موتِ أحمد بن حنبل إلا بيت سوء»[(٢)].

كانت تلك المصيبةُ شديدةَ الوقع على المجتمع المسلم، وذلك لأنّ ذهاب العالِم خسارةٌ على الجميع، ونقصٌ واضحٌ في شأن البلد وأهله، إذ إنّ العالِم نورٌ يُستضاء بعلمه، وقبضُ العلماء نذيرُ شرٍّ، فبقبضهم يقلّ العلم ويظهر الجهل، وذلك من

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٣٧).

(٢) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص٤٢٠).

المصاب العظيم الذي يزيد ضررُه بقدر استشرائه في المجتمع.

إنّ موت سماحة الشيخ عبدالعزيز خسارةٌ كبيرةٌ ومصيبة عظيمة، كيف لا؟ وقد وضعت الأمة يدَها على قلبها عندما ترامت الأنباء بمرض شيخها وإمامها، ثم انفرجت أساريرُها بتواتر الأنباء بخروجه من عارضه الذي ألمَّ به، وكان مرضُه حديثَ الناس، فلما تباشروا بشفائه قرَّت أعيُنهم وزال قلقُهم.

ولكن لما كانت سُنّة الله نافذةً وأمرُه واقعًا قضى الله أمرًا كان مفعولًا، ثم كانت الفاجعة؛ فودّعت البلاد ـ بل ودّعت أمَّة الإسلام قاطبةً ـ شيخَ الإسلام في زمانه، وإمامَ السنّة في اتِّباعه وسمته ووَقاره، أجمعت الأمّة على محبَّته وقَبوله، وتمكَّن حُبُّه في قلوب الصِّغار والكبار، والعامّة والمتعلِّمين.

قال النبيُّ ﷺ: «**أنتم شهداء الله في أرضه**»(١).

وقد سار الناس في موكبٍ عظيم في جنازة الشيخ رحمه الله تعالى، ولو قيل: إنه لم تمرّ جنازةٌ في هذا العصر بهذا الجمع الكبير مثل جنازة سماحة الشيخ رحمه الله لما كان بعيدًا، وهنا يظهر مصداق قول الإمام أحمد رحمه الله: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز»(٢).

وفي سجلات التاريخ نقرأ أخبارًا نكادُ نقول: هذه مبالَغٌ فيها، ولكن لما رأينا جنازة الشيخ وتلك الأعداد الهائلة رأينا أنّ التاريخ قد صدق في وصفه لمثل تلك الحالات(٣).

وأخيرًا؛ إنّ القلب ليحزن، وإنّ العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنّا على فراق شيخنا لمحزونون.

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٤٠).

(٣) مقتبس من مقال: «حتى لا يكذَّب التاريخ».

الرؤى المنامية والمبشرات

قال ﷺ: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات**». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**». أخرجه البخاري.

وأخرجه مسلمٌ بلفظ: «**لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبدُ الصالح أو تُرَى له**».

والرُّؤى في سماحة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرةٌ، سواء في حياته أو بعد مماته، ومن عجيب أمر الشيخ رحمه الله وسموّ أخلاقه وتواضعه أنه كان حذِرًا من مداخل الشيطان وبخاصة إذا كان المقامُ مقامَ مدحٍ وثناء(١).

ومن الرُّؤى في الشيخ رحمه الله في حياته ما يلي:

١ - حدّثني الشيخ عبدالرحمن بن جلَّال ـ أثابه الله تعالى خيرًا ـ أنّ رجلًا ـ وذكر الشيخ ابن جلّال اسمَه كاملًا ـ كان يأتي مع الناس للصلاة مع سماحته لما كان قاضيًا في بلدة الدلم. قال الرجل: بينما أنا ذات ليلة نائمٌ أتاني آتيان فأيقظاني من النوم(٢) وسألاني: ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فقلت: للصلاة مع الشيخ، فقالا لي: كيف كانت قراءتُه؟ فقلت: كان إذا مرَّ بآية فيها ذِكر الجنة طلب من الله، وإذا مرّ بآية فيها ذِكر النار استعاذ بالله من النار، فقال أحدهما: هو ممَّن يتلو كتابَ الله حقَّ تلاوته.

٢ - ما رأيتُه بنفسي، وذلك أني رأيتُ فيما يرى النائم أنّ رجلًا جاءني وقال لي: النبيُّ ﷺ موجودٌ في مسجد معيَّن في الرياض، فذهبتُ إليه في المسجد ورأيتُ ثمانيةَ رجال من الخلف كلّهم في الروضة (مقدّمة المسجد) فرأيتُ عليهم العمائم تعلوهم الهيبة والوقار، فقلتُ لصاحبي: أين النبيُّ ﷺ منهم؟ فقال: أحد هؤلاء الثمانية. فأتيتُ من طرف الصفّ الشمالي فرأيتُ على صفحات وجوههم اللحى والهيبة

---

(١) انظر ما تقدم في قصته مع قصيدة الهلالي (ص٩٣).

(٢) وسألتُ الشيخ عبدالرحمن بن جلّال ـ أثابه الله تعالى ـ للتثبّت: هل أيقظاه أو كان ذلك في النوم؟ فغلّب الشيخ جانب اليقظة، قلت: وإنما ذكرته هنا لأنه داخل تحت عموم المبشرات.

والوقار، فكنتُ متحفزًا أن أراه وأنا أدقِّق النظر فيهم أيّهم. فأقيمت الصلاة، فقلت: الآن سيتقدّم هو ﷺ ، سبحان الله! وكأنّ الأرض انشقّت عن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لا أدري كيف جاء فتقدّم بين الصفوف وتقدّم بين هؤلاء، ثم قال: استووا، ثم كبَّر للصلاة وكبَّر من خلفه معه.

فسألتُ أحدَ المعبِّرين عنها فقال: هذه لا تحتاج إلى تعبير؛ تُعبِّر نفسَها بنفسها: الرَّسول ﷺ هو السنّة، والشيخ عبدالعزيز رحمه الله إمام السنّة في وقته.

٣- أنّ أحد أقاربي رأى في الشيخ رؤيا خير قبل موته وقصّها عليّ، حيث رأى فيها الشيخ ابن باز رحمه الله على منظَر بهيّ يُغبط فيه، فكتب إلى الشيخ يُخبره بتلك الرُّؤيا فردّ عليه الشيخ رحمه الله بقوله:

«من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرَّم الشيخ عبدالرحمن ابن محمد بن سدحان زاده الله من العلم والإيمان وجعله مبارَكًا أينما كان، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

يا محبّ، وصلني كتابكم الكريم المؤرَّخ في ٧/ ٦/ ١٤٠٥هـ وصلكم الله برضاه، وسرَّني حرصُكم على تتبُّع ما يُذاع ويُنشَر من الأحاديث المفيدة زادك الله من العلم النافع والرغبة في الخير، وأشكرك على شعورك نحوي ودعائك لي، جزاك اللهُ عن ذلك أفضل الجزاء، ولا شكّ ـ يا أخي ـ أنّ الواجب علينا وعلى إخواننا طلبةِ العلم أكثرُ من هذا، ونسأل اللهَ أن يُعين الجميع على أداء الواجب.

أما الرؤيا التي أشرتَ إليها؛ فهي رؤيا صالحة، وتُبشِّر بالخير لنا ولكم، ولكن يا محبّ الرُّؤيا الحسنة تسُرُّ الإنسان ولا تغُرُّه، بل يزداد اجتهادًا في الخير، ونسأل اللهَ أن يُثبِّتنا وإياكم على دينه، إنه جوادٌ كريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»(١).

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: «الرؤيا تسُرّ المؤمن ولا تغُرُّه»(٢). وكان سفيان

(١) كُتبت بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٤٠٥هـ.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٢٧).

الثوري إذا قيل له: إنه رُئي في المنام، يقول: «أنا أعرَف بنفسي من أصحاب المنامات»[١].

٤- حدّثني أحد الإخوة[٢] الذين تربطني بهم علاقة وثيقة عن رؤيا نقلَتها له امرأتُه، فذكرت[٣] أنّ امرأةً رأت ليلةَ وفاة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى مجموعتين من الناس؛ إحداهما تبكي وكأنها تودِّع، والأخرى مبتهجة وفرحة وكأنها تستقبل.

قالت الرائية: ورأيت جدي وقد مات قبل الرؤيا وهو ينادي المجموعة الأولى قائلًا: أسرعوا وعجِّلوا وأحضروا لنا هذا الأعمى الذي عندكم ـ وهم المجموعة الثانية ـ مستبشرون بقُدومه والفرحة تعلو مُحيَّاهم، وكان هذا المنادي أطول المجموعة وأحسنهم.

٥- ذكرت هذه المرأة أيضًا أنّ امرأةً رأت فيما يراه النائم قبل اثنتي عشرة سنةً في رمضان أنها دخلت الجنة من باب كبير فرأت قصرين من زجاج يرى مِن خارجهما مَن بداخلهما، والقصران لم يكتمل بناؤهما بعد، وفي داخل القصرين فرش وبسُط لم تُفرَش بعد بل هي مركونة في جانب القصر. فقيل للمرأة: القصر الأول للشيخ ابن باز، والقصر الآخَر للشيخ ابن عثيمين.

٦- حدّثني أحد طلبة الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ قال: رأى أحدُ الصالحين عندنا في الشام رؤيا قبل وفاة الشيخ ابن باز بفترة يسيرة رأى كوكبين في السماء وقد اتّجها بقوّة نحو الأرض، أما أحدهما فوصل إلى الأرض، وبقي الآخَر قريبًا من الأرض.

فأمّا الذي وصل إلى الأرض فأحدثَ دويا هائلًا جعل الناس يفزعون ويتساءلون ما الخبر؟!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٥٢).

(٢) وهو الأخ إبراهيم المجلي حفظه الله تعالى.

(٣) ثم طلبتُ من الأخ إبراهيم توثيق الرؤيا، فكتب أهله الرؤيا خطِّيًا، وهذا مفادها.

ثم استيقظ، فسأل أحدَ المعبِّرين عن تلك الرُّؤيا فقال المعبِّر: هذا أمرٌ يحدُث يهتـزّ له المجتمع ويكون لذلك أثرٌ بليغ، ثم يعقُبه مثله وهو الكوكب الثاني.

قال مُحدِّثي: فلم يمض أيامٌ حتى جاء الخبر بموت الشيخ ابن باز رحمـه الله ، ثـم مات الشيخ الألباني رحمه الله بعده بفترة يسيرة، وهـو تأويـل الكوكـب الثـاني الـذي تأخّر عن اللحوق بالكوكب الأول.

رحم الله الشيخين وجعل الفردوس الأعلى مستقرَّهما ومثواهما.

٧- وحدّثني الشيخ عبدالرحمن الجلّال ـ أثابه الله تعالى ـ في منزلـه بمدينـة الـدلم فذكر لي:

أنه لما كان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ قاضيًا في الـدلم رأى رجلٌ فيما يرى النائم أنّ خصمين كانا يختصمان عند الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، فلما تكلم الشيخ للفصل بينهما كان هناك رجل بجانب الشيخ تقرَّر في نفسي أنه عمـر بـن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فكلما تكلم الشيخ أومأ عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه برأسه موافقًا لما يقول الشيخ رحمه الله تعالى.

٨- [وحدّثني الأخ فؤاد بن محمد بن عبدالوهاب الـشامي قـال: كنـتُ في شـهر محرَّم عام ١٤٢٠هـ في دولة إندونيسيا لأعمال تجارية، وفي فجر يوم وفـاة الـشيخ ابـن باز رحمه الله تعالى رأيتُ فيما يرى النائم قرص الشمس مـضيئًا ينـزل مـن الـسماء ثـم دخل في حُفرة في جوف الأرض، فقُمتُ فزعًا واتّـصلتُ بـأهلي في الـسعودية وكـان الوقت عندهم قرابة الساعة الثانية عشر لـيلًا، فـسألتُهم هـل حـصل عنـدهم شيء؟ فقالوا: لا. وبعد يومين أخبرني أهلي أنه بعد فجر ذلك اليـوم ـ بعـد اتِّـصالي علـيهم ـ جاء خبر موت الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى].

ومن الرُّؤى بعد وفاته رحمه الله:

١ – أنّ أحدهم قال: اتصل عـليّ أحـد الإخـوة الثقـات الـصالحين مـن إخواننـا الشناقطة ممَّن أعرِفهم بالصدق في الحديث وحُسن الدِّين، فقال لي: رأيـتُ فـيما يـرى

النائم قصرًا أبيضَ واسعًا كبيرًا، فدخلتُه فإذا هو واسعٌ جدا، وكلما دخلتُ فيه ازداد اتِّساعًا وكبرًا، وكلما دخلتُ اتَّسع أكثر وأكثر، وهكذا دواليك.

فلما جئتُ لوسطه جلستُ في وسط القصر على دكة في رحبته الواسعة، وسألتُ لمن هذا القصر الأبيض الجميل الواسع؟ فقال هاتفٌ أسمعُه ولا أراه: إنه للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. ثم بينما نحن نتجوَّل في القصر فإذا قارئ يقرأ بأجمل صوت وأفضل قراءة سمعَتها أذني مطلقًا: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[1][2].

٢- أنّ أحدهم قال: رأيتُ فيما يرى النائم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل باز رحمه الله تعالى وهو على النعش مكفَّنًا بكفن أبيض، وأنا أبكي عليه حُزنًا على وفاته. فبينما أنا أبكي إذ جاءني رجُل حسن الهيئة أبيض اللون جميل المنظر، فقال لي: أتعلم على من تبكي؟ فقلت: نعم، فأشار إلى الشيخ وقال: هذا لو أقسمَ على الله لأبرَّه[3].

---

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) «الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز» (ص٥٢٢).

(٣) «الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز» (ص٥٢٣).

أسباب قبول الشيخ

أحسب أنّ الشيخ رحمه الله له نصيبٌ من قول النبيِّ ﷺ: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلَ فقال: يا جبريل، إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم يُنادي جبريلُ في أهل السماء: إنّ اللهَ يُحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضَعُ له القَبول في الأرض**»[(١)].

وفي حديث آخَر عند البزار وغيره: «**إنّ لكلّ عبدٍ صِيتَيْن؛ صِيتٌ في السماء وصيتٌ في الأرض، فإذا حسن صيتُه في السماء حسن صيتُه في الأرض، وإذا ساء صيتُه في السماء ساء صيتُه في الأرض**».

والشيخ رحمه الله له قَبول عند جميع طبقات الناس من حُكّام ومحكومين، وتجار وفقراء وعلماء ومتعلِّمين وعامّة.

بل تعدّى الأمر مجتمعنا وأصبح قبول الشيخ في غالب العالم الإسلامي، وهذه منقبةٌ فريدةٌ يكادُ سماحة الشيخ يتفرّد بها عن جميع علماء العصر.

فلا أعرفُ ـ حسب علمي وسؤالي ـ أنّ إمامًا وُضع له القبول كما وُضع لسماحة شيخنا ابن باز، فسُمعَتُه ومحبَّته لا يُشقّ لها غُبار، وهذا ينـدُر أن يجتمع لأحد، وهذا راجعٌ إلى التوفيق الإلهي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن أسباب قبول الشيخ:

* تعظيم الشيخ رحمه الله للنصّ الشرعيّ، وقد سبق ذلك.

* التقوى والورع في جميع شؤون الشيخ.

قال زيد بن أسلم: «كان يُقال: من اتَّقى الله أحبَّه الناس وإن كرهوا»[(٢)].

وقال الثوري لابن أبي ذئب: «إن اتقيتَ الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم

---

(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة.

(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيّم (ص٥٣).

يُغنوا عنك من الله شيئًا»[١].

* قول الحقّ.
* التواضع الجمّ.
* النصح والخوف على المسلمين.
* نشر الخير في كلّ مكان.
* الزهد في متاع الدنيا.
* سلامة قلبه من الغلّ والحسد، نحسبُه كذلك والله حسيبُه ولا نُزكِّي على الله أحدًا.

والشيخ رحمه الله له قبول حتى عند الكفار، فقد ذكر بعضُهم أنّ رجُلًا نصرانيا كتب للشيخ شيكًا بمبلغ مليون ومائتين وخمسين ألف ريال، فأحضر أحدُ المسلمين هذا الشيك بعد أن أخذه من النصراني وسأله أتعرف الشيخ ابن باز؟ فقال: نعم، أعرفه وهو لا يعرفني ولم ألتقِ به، ولكني عرفتُه وأحببتُه مما يكتُب ومن كلام الناس عنه[٢].

(١) انظر: «الفوائد» لابن القيّم (ص٥٣).

(٢) «مواقف مضيئة في حياة الإمام عبدالعزيز بن باز» إعداد: حمود المطر (ص١٨٥).

شـــــــــذرات

١ - [ذكر لي الشيخ محمد بن إبراهيم الحمودي قصة عن والدة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فطلبتُ منه كتابتها ففعل مشكورًا بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٢١هـ، وهذا نصّ خطابه لي:

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، ثم بناءً على طلب أخي عبدالعزيز بن محمد السدحان أن أكتُب له القصة التي حصلت لوالدنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمة الله عليه ووالدينا والمسلمين أجمعين. حدّثني عبدالرحمن بن ناصر بن جابر من أهالي الرياض بأنّ الشيخ رحمه الله فقد بصرَه في مقتبل عُمره، وكان مسكن والدته ـ وهي من آل حزيم ـ في حي دخنة شرق قصر الحكم، وكان لها جارة هي زوجة الأمير عبدالعزيز بن تركي آل سعود، ودخلت عليها وكان الشيخ عبدالعزيز جالسًا بجوار والدته وهي تبكي على ابنها، فسألَتْها: لماذا تبكين يا أمّ عبدالعزيز؟ فردّت عليها أنّ عبدالعزيز فقدَ بصرَه ومن يقوم بشؤونه؟ فقالت لها: البكاء ما يردّ شيئًا، ولكن استعيني بالله وتوضّئي وصلي لله ركعتين اسأليه كما أخذ بصره أن يعطيَه علمًا ينفعُه وينفع المسلمين. وقد استجاب الله دعاء والدته[1]، والله الموفق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أخوك/ محمد بن إبراهيم الحمودي» انتهى.

(١) لطيفة: في أثر دعاء الأمّ لولدها بتحصيل العلم ذكر الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في ترجمة سُليم بن أيوب ما نصُّه: «قال سهل بن بشر: حدّثنا سُليم أنه كان في صغره بالرَّيّ وله نحوٌ من عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ وهو يُلقِّن، قال: فقال لي: تقدَّمْ فاقرأ. فجهدتُ أن أقرأ الفاتحةَ فلم أقدِرْ على =

= ذلك لانغلاق لساني، فقال: لكَ والدة؟ قلتُ: نعم. قال: قُل لها تدعو لكَ أن يرزُقَك اللهُ قراءةَ القُرآن والعلم. قلتُ: نعم. فرجعتُ فسألتُها الدعاء، فدعت لي، ثم إني كبرتُ ودخلتُ بغداد، قرأتُ بها العربية والفقه، ثم عُدتُ إلى الرَّيّ، فبينا أنا في الجامع أُقابل «مختصر المزني» وإذا الشيخ قد حضَر وسلّم علينا وهو لا يعرفُني، فسمع مقابلتَنا وهو لا يَعلمُ ماذا نقول، ثم قال: متى يُتعلَّم مثلُ هذا؟ فأردتُ أن أقولَ: إن كانت لكَ والدةٌ فقُل لها تدعو لكَ، فاستحييت». «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٦٤٥-٦٤٦).

ثمّ علمتُ أنّ راوي القصة عبدالرحمن بن ناصر بن جابر هو جدّ أولاد فضيلة الشيخ القاضي عبدالعزيز بن إبراهيم بن قاسم، وقد أخبرني بذلك فضيلته ثم أكّد لي صحة القصة وأنه سمع ذلك مرارًا من عبدالرحمن بن ناصر بن جابر رحمه الله تعالى.

قلت: فجزى الله تعالى تلك المرأتين الصالحتين خيرًا؛ من أشارتْ ونصحتْ[(١)] ومن استجابتْ ودعتْ، واللهَ تعالى أسأل أن يُجري على تلك المرأتين الصَّالحتين مثل أجر سماحته رحمه الله تعالى فيما أجراه الله تعالى على يديه من الخير العظيم، فإنّ من دلّ على خيرٍ كان له مثلُ أجر فاعله كما صحَّ عنه ﷺ].

٢- أنعم اللهُ على سماحة الشيخ بخصال كثيرة قلّما تجتمع في أحد، وكنتُ في أثناء القراءة في كتب التراجم أرى تلك الصفات متفرِّقةً بين كثير من المترجَمين.

واستوقفتني ترجمةٌ لأحد الأئمة أحسبُ أنّ الشيخ مشترك مع ذلك الإمام في تلك الصفات، والترجمة المعنية في كتاب «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر رحمه الله ، والمترجَم له هو الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى.

قال الحافظ في ترجمته: «عبدالله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة، ثبتٌ، فقيهٌ، عالمٌ، جوادٌ، مُجاهدٌ، جُمعت فيه خصال الخير»[(٢)].

وقال عنه الإمام ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: «إمام الدنيا في وقته عبدالله بن المبارك رحمه الله »[(٣)].

[ويقرب منه ما ذكره السمعاني في ترجمة الحسين بن أحمد بن علي البيهقي، فقد قال عنه: «كان شيخًا فاضلًا مسنا كبيرًا، جليلَ القدر، حسن السيرة، مليحَ الأخلاق، كثير المحفوظ، ويُكرِم الغرباء الواردين عليه ويبرُّهم ويُحْسِنُ إليهم، وكان الناسُ

---

(١) وقد سألتُ الأمير سلمان بن عبدالعزيز عن امرأة الأمير عبدالعزيز بن تركي فأفادني بأنها من أسرة آل مدبل، وقد سألتُ بعض الأكارم من أسرة آل مدبل عن تلك المرأة الصالحة فأخبروني بأنها: نورة بنت عبدالعزيز آل مدبل، رحمها الله تعالى وبارك في ذرِّيتها.

(٢) «تقريب التهذيب» (ص٣٢٠).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٨٤).

ينتابونه من كلّ قُطر، وداره كانت مجمعَ الفضلاء والعلماء»[(١)]].

٣- الشيخ ليس مدرسةً فحسب، بل جامعة.

٤- من الطرائف واللطائف أنّ الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ ترجم في «السير» لإمام يشاركه الشيخ في الكنية واللقب، فقال: «ابن باز الحافظ الإمام، أبو عبدالله»، ثم قال: «محدِّث متقن، مفيد، وُلد سنة ٥٥٢هـ ومات ٦٢٢هـ»[(٢)].

٥- سألتُ الشيخَ رحمه الله تعالى: هل سافرتَ إلى خارج المملكة؟ فقال متبسِّمًا: أنا كالإمام مالك، لم أتعدَّ الحجاز.

٦- تناولتُ طعام العَشاء مع سماحته، وعند غسله ليديه بعد الفراغ من الطعام قام بخلع تركيبة الأسنان لتنظيفها، فقلتُ له: سماحةَ الشيخ، هل يدخُل التدليس في الأسنان؟ فتبسَّم ضاحكًا.

٧- وافق الخبرُ الخبرَ: من المصادفات أنّ آخر حديث قرأتُه على سماحة الشيخ رحمه الله تعالى من «صحيح البخاري» في درس المغرب المُقام في مسجد الأميرة سارة بالرياض كان عن وفاة الرسول ﷺ، ونصُّه:

قال البخاري رحمه الله: باب من تسوَّك بسواك غيره. حدَّثنا إسماعيل قال: حدثني سليمان بن بلال قال: قال هشام بن عروة: أخبرني أبي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عبدالرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستنّ به، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ فقُلتُ له: أعطني هذا السِّواك يا عبدالرحمن. فأعطانيه فقصمتُه[(٣)] ثم مضغتُه فأعطيتُه رسولَ الله ﷺ فاستنّ به وهو مستنِدٌ إلى صدري»[(٤)].

(١) «المنتخب من معجم شيوخ السمعاني» (٢/ ٦٨٨) باختصار يسير.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٥٨).

(٣) قال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٣٧٧): «فقصمته: بقاف وصاد مهملة للأكثر، أي: كسرته، وفي رواية كريمة وابن السكن بضاد معجمة، والقضم ـ بالمعجمة ـ: الأكل بأطراف الأسنان».

(٤) «فتح الباري» (٢/ ٣٧٧) حديث رقم ٨٩٠.

٨- ولا أعلمُ أنّ أحدًا رُثي بعد الرَّسول ﷺ أكثر من سماحة الشيخ رحمه الله تعالى[١].

[وقد نُشِر عددٌ كثير من القصائد وكثير لم ينشر كما صرَّحت بذلك بعض الصحُف في اعتذار لها من أصحاب القصائد، وقد اخترتُ قصيدةً لم تُنشر من قبل للأخ الكريم الشيخ الأديب أبي معاذ محمد بن إبراهيم الزاحم، وقد عنون لقصيدته بـ«أفول نجم باز الجزيرة»، ونصّ قصيدته:

أبـدأْ بحمـد الله إيمانًا بـه ... ثـم الصلاة على النبيِّ أَرجِّعُ

أنظـمْ قوافـيَ في رثـاءِ فقيـدِنا ... بـازٌ تغِيـبُ نجومُـه وتُـودِّعُ

اللهُ يكتُـب مـا يـشاء ويحكـمُ ... والله يمـنح مـن يـشاء ويمنـعُ

والله يَقْـسِمُ رزقـه متفـضِّلًا ... والكلَّ يمتَحُ[٢] من حباه ويجمعُ

حلقـات درس الشيخ عـامرةٌ بـما ... يُروي غليلَ[٣] فؤاد من يتضلَّعُ[٤]

أَذْنٌ مـشنَّفةٌ[٥] وطَـرْفٌ[٦] حـائرٌ ... عنـد استماع حديثـه تتمتَّـعُ

فالـدرس منتجع[٧] يطيـب لسامع ... يحـوي فنـون علومنـا يتنـوَّعُ

أوقاتـه معمـورة بدروسـه ... والعلـم يبذلـه ولا يترفَّـعُ

ينفي الضعيف من الحديث بداهـةً ... علَّامـة ومحـدِّث متواضـع

يـصغي لـسائله ويـسمع قولـه ... فـورًا يجيـب مـسائلًا تتتـابع

لا يـشتكي أبـدًا لطـول مُقامـه ... يفتـي يحـدث مـسندًا يتـبرَّعُ

---

(١) انظر مثلًا: «عيون المراثي البازية» جمع وترتيب: سليمان بن محمد العثيم وفهد بن عبدالعزيز الجوعي.

(٢) يمتح: المَتْح: استقاء الماء، مصدر متحتُ الدَّلْوَ إذا استخرجتها، والفاعل ماتح ومَتوح.

(٣) غليل: كـ«أمير»، العطش أو شِدَّته أو حرارة الجوف.

(٤) يتضلع: تضلع: امتلأ شبعًا أو رِيا حتى بلغ الماء أضلاعه.

(٥) مشنفة: جُعِل في أعلى الأذن قُرط، وهو كناية عن الغاية في الاستماع.

(٦) الطَّرْف: العين.

(٧) المنتجع: المنزل في طلب الكلأ.

مسك تضوَّع[١] من سناء[٢] حديثه ... والزَّعفران بمسكه يتشعشعُ[٣]
بازِيُّنا متقنِّص لشوارد[٤] ... يقفو[٥] أوابِدَها[٦] فلا تتمنَّعُ
حَبْرٌ[٧] يحرِّر قوله ببراعة ... يَصْرَعْ بثاقب فهمه ويُجَدِّعُ[٨]
الشيخ رأس دعاتنا وشيوخنا ... لا ينثني أبدًا ولا يتزعزعُ
يَحْمِلْ هموم عوالمٍ متفكِّرًا ... يرجو هدايتها بحقٍّ يصدع
يرفعْ أكف ضراعة متبتِّلًا ... يلهجْ بدعوة ربِّه يتضرَّع
سبحان من جعل القلوب مُحِبَّةً ... ترجو مودته ولا تتصنعُ
يجثو على رُكَبٍ مُريد علومه ... يبسطْ رداء حيائه يتطلعُ
باز تألَّق نجمُهُ فلسانه ... يَفْلِقْ كَوَافِرَ[٩] لفظها ويبضِّعُ[١٠]
باز وبَيزارٌ[١١] يدرِّب بازَه ... يُنشِبْ مخالب فقهه ويمزِّعُ
آسٍ[١٢] نِطاسِيٌّ[١٣] يعالج أبكمًا ... فاللفظ معترف يبوح ويلمع
آخِيَّةٌ[١٤] لشيوخنا ومثقِّفٌ[١] ... يَبْري[٢] عقولهم ولا يتذرَّع[٣]

---

(١) تضوَّع: انتشرت رائحته، ومنه: ضاع المِسْك: تحرَّك فانتشرت رائحتُه.

(٢) سناء: السَّنَا: ضوء البرق.

(٣) يتشعشع: يمتزج، ومنه: شَعْشَع الشراب: مزجه وخلط بعضه ببعض.

(٤) شوارد: جمع شاردة، وهي ما نفر من الدواب وغيرها.

(٥) يقفو: يتبع.

(٦) الأوابد: الوحوش.

(٧) الحَبْر: بفتح الحاء وكسرها: العالِم أو الصالح.

(٨) يُجَدِّع: الجَدْع: قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة.

(٩) كوافر: كفر الشيء: ستره، والكوافر: جمع كافور، وهو الطَّلع، يغلق في حينه ووقته.

(١٠) يُبَضِّع: بضعه الكلامَ وأبضعه: بيَّنه له، والبَضْع: القطع.

(١١) البيزار: هو حامل البازيّ أحد جوارح الطير المعروفة.

(١٢) الآسي: الطبيب.

(١٣) النِّطاسي: العالِم ـ بكسر النون وفتحها ـ.

(١٤) آخيَّة ـ بتشديد الياء وتخفيفها ـ: عُودٌ في حائط أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة

ربَّى تلامذة فخرّج أبحُرًا ... مَلأى وعَبْقُ[٤] عبيرهم[٥] يتضوَّع

انْظِمْ عقود لآلئٍ وزَبَرْجَدٍ ... مِنْ لفظه فلسانه مترِّع[٦]

فالشيخ قد بلغ الإمامة في فنو ... ن عدة فجليسه يتنجَّع[٧]

لم يفتأ الضرغام[٨] طول حياته ... ينشرْ عقيدة سنة ويرقِّع

نحويٌّ[٩] صرفيٌّ ومُعْجِمُ ألسُنٍ ... جُعفِيٌّ[١٠] مِزِّيٌّ[١١] كذلك أصمعُ[١٢]

لم يتخذ أبدًا سلالم يبتغي ... رفعًا لدنياه فذلك أورع

فالشيخ قد كثر الرماد[١٣] ببابه ... للنَّادِ[١٤] منزله قريب يُشْرَع

طَوْدٌ[١٥] تشامخ عزةً وكرامةً ... مَنْ ذا يدوم فلا يموت ويصرعُ؟

فجرَ الخميس نُعِيْ[١٦] لنا فوفاته ... هُلْكٌ[١٧] لراحلة تُغِذّ وتُوضِع[١]

تشدُّ فيها الدابة.

(١) مثقّف: الثِّقاف: ما تسوى به الرماح، والمثقِّف: من يصنع ذلك.

(٢) يبري: بَرَى السهم يبريه: نحته.

(٣) يَتذرَّع: التذرُّع: كثرة الكلام والإفراط فيه، وتذرَّع بذريعة: توسَّل بوسيلة.

(٤) عَبْق: عَبِق به الطيب: لزمه به.

(٥) العبير: الزعفران أو أخلاط من الطيب.

(٦) مترع: التَّرَع ـ محركة ـ: الامتلاء، وحوضٌ تَرِعٌ: ممتلئ.

(٧) يتنجَّع: ينتقل من مكان إلى مكان لطلب الكلأ.

(٨) الضرغام: من أسماء الأسد.

(٩) نحوي، صرفي، معجم ألسن: أي ماهر في علم النحو والصرف واللغة.

(١٠) جعفيٌّ: أي محدِّث، تشبيهًا بالإمام البخاري رحمه الله تعالى.

(١١) مِزِّي: ماهر في معرفة علوم الحديث ورجاله وعلله كجمال الدِّين المِزِّي رحمه الله تعالى.

(١٢) أصمع: مشبه بالأصمعي عبدالملك بن قُرَيب، العالِم اللغوي الأديب.

(١٣) كثر الرماد ببابه: كناية عن اتِّصافه بالكرم.

(١٤) للناد منزله قريب: أي: منزله قريب واضح يسهُل الوصول إليه.

(١٥) طودٌ: جبل.

(١٦) نُعي: نُقِل إلينا خبر وفاته.

(١٧) هُلْكٌ: أي هلاك.

كُــــلّ تــــردَّد في ثبـــوت وفاتـــه حتـــى تـــواترت المـــصادر تقْـــرَع

حتى الـدموعُ تحجـرت في مؤقِهـا(٢) والنفس ضاقت والـصدورُ تَقَعْقَـعُ(٣)

والـــنفس راضـــية بحكـــم إلهنـــا يُحْيـــي ويقـــبض والقلـــوب تَوَجَّـــعُ

الـــشيخ جامعـــةٌ يهـــذِّب أنفـــسًا علـــمٌ وزهـــدٌ بـــالتقى يتـــدرَّعُ

أجـــزِلْ ثـــوابَ فقيـــدِنا ولعلَّـــه يـــسكنْ جنانَـــكَ خالـــدًا يتمتَّـــعُ

أَخْـــتِمْ رثـــائيَ بالـــصلاة مُـــسَلِّمًا دومًـــا عـــلى رُسُـــلِ تحـــج وتركـــع

وأما المقـالات الـصحفية فلعلهـا تفـوق القـصائد عـددًا، وانظـر مـثلًا كتـاب: «ابن بـاز بـين القرطـاس والقلـم»، وهـو جمـع للمقـالات في الـدوريات الـسعودية ما بين ٢٧ محرَّم - ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، فكيف يقال فيها كتب بعد هذا التـاريخ؟ دع عنك ما لم يُنشَر، وناهيك عن الدوريات الخليجيـة خـصوصًا والعربيـة والإسـلامية عمومًا.

ومن المقالات التي لم تُنشَر هذا المقال الذي أسوقه هنـا بنـصِّه، وهـو مـن إنـشاء الشيخ ناصر بن محمد بن طالب القاضي بالمحكمة العامّـة في عرعـر، وعنوانـه: «**لقـد ذقنا اليُتم بفقدك يا سماحة الشيخ**»:

«بسم الله الرحمن الرحيم... عندما صحوتُ على الدنيا قبل عقـدين مـن الزَّمـان كانت عبارة «سماحة الشيخ، سماحة الوالد» تطرق مسمعي كلما مرَّت قضية دينيـة أو فتوى شرعية.

وحدّثني والدي أنه ومنذ أن عقل الحيـاة وأدرك الأمـور قبـل نـصف قـرن مـن الزمان واسم «سماحة الشيخ» يمرُّ بمسمعه كـما يمـرّ النـسيم رقراقًـا رخيًـا فتلتقطـه

(١) تُغِذُّ وتُوضِع: من الإغذاذ والإيضاع في السير: وهو الإسراع.

(٢) مُؤقها: المُؤْق: طرف العين مما يلي الأنف، أو مجرى الدمع من العين أو مقدمها أو مؤخرها.

(٣) تقعقع: تضطرب وتتحرَّك.

الآذان ويبتهج لذِكره الوجدان.

وحدّثني والدي عن والده (جدي) أنه ومنذ أن كان في مَيْعة الصبا وبواكير الشباب وقبل ما يزيد على ستة عقود ونصف كانت سيرة الشيخ عبدالعزيز تطوي الوهاد وتتجاوز البلاد، وتسير بها الركبان لتحفر لها مكانًا في سمع الزمان، تتضوع بها الأرجاء وتتعطر منها الأنحاء كما يفوح بشذاه الزهر أو كما يبوح الفلّ بأريجه مع هدأة السحر.

إيهٍ يا سماحة الشيخ! ما عسى شابٌّ مثلي أن يكتُب عن إمام مثلكم، كانت إمامته على سُوقها قائمة، ومكانته في النفوس راسخة قبل أن يولد هو أو يطلّ على الحياة والدُه، وقبل أن يبلغ جدّه مبلغ الشباب.

سماحة الشيخ.. كانت عادتُك في أسفارك ورحلاتك أن لا تشدّ الرَّحل إلّا يوم خميس اقتداءً بسنة نبينا محمد ﷺ ، فهل كانت مصادفة أن تكون رحلتُك الأبدية وسفرك الأخروي يوم خميس أيضًا.

إذ مع شروق شمس هذا اليوم يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ غربت شمسٌ في الحجاز طالما كانت تشعُّ عِلمًا وعملًا وجلالةً وورعًا ودعوةً وتعليمًا وأمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر ونصرةً للحقّ ودفعًا للباطل واهتمامًا بالمسلمين وشؤونهم في كافة أنحاء الأرض، فغاب مع غيابها عِلمٌ وافرٌ وبحر زاخر، وطُوِيت مع أُفولها صفحةٌ من صفحات التاريخ المجيد تاريخ أمة في رجل وبقية من سلف صالح كريم تجاوز نفعُه نفسَه إلى بيته، ثم امتدّ إلى حيِّه، فتعدى حيَّه إلى بلده، ثم انطلق حتى أتى على كامل أرض دولته، ثم لما يزل نفعُه يطوي الأرضَ حتى وصل أنحاءَ المعمورة وأرجاء الدنيا.

وإنِّي أرجو من الله أن يمتدّ أثرُه وعلمُه عصورًا، ويبقى نفعُه في الناس دهورًا، وما ذلك على الله بعزيز.

أليس هو بقيةَ سلف صالح للصحابة الكرام والأئمة الأعلام؟ كالفقهاء السبعة، وابن شهاب الزهري، وعبدالله بن المبارَك، ومالك بن أنس، وأحمد

ابن حنبل، وعلي بن المديني، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومسلم، والبخاري، وابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب، و محمد بن إبراهيم.

أيّها القرّاء المكلومون والإخوة المصابون...

لستُ في مقام من يَسرِد للشيخ سيرةً أو يُجلي للناس مسيرةً أو يؤرِّخ لبعض محطات حياته، فأنَّى لمثلي أن يُلِمّ بطرف من سيرة إمام لو توازع سيرته جماعةٌ من الناس وتمثلوها في واقعهم وشؤون حياتهم لكان كلّ واحد منهم عَلَمًا يُشَدّ له الرَّحل وتُضرَب لأجله أكبادُ الإبل ويتبوَّأ مكانًا مرموقًا في صفحات التاريخ ودواوين السِّيَر.

فللّه دَرُّك سماحةَ الشيخ... ولله دَرُّ أمّة أنجبت أمثالَك وما عقمت بعد...

سماحةَ الوالد... إنّ من يريد أن يُلِمّ بطرَف من سيرتك ويبيِّن للناس شيئًا من طريقتك لا بدّ أن يتوغّل في الماضي البعيد ويَمضي في مسارب الزمن الغابر، وأن يَخرق حُجُب الليالي والأيام، ويتجاوز رُكام العقود والأعوام حتى يصل إلى نحو عام ١٣٤٥هـ وفي مدينة الرياض، والتي لم تكن سوى حيّ دخنة وبعض الأحياء بجوارها، ثم يرقب خروج ذلك الفتى اليافع من داره تلك الدار التي كانت خاليةً من أمتعة الدنيا وحاجيات الحياة... لم يكن فيها إلا اليُتم مرخٍ سُدُولَه والفقر ضاربًا ذيولَه... دار فيها القليل من المتاع والكثير من القناعة والعفاف، دار فيها الفاقة لكن معها نفسٌ توّاقة، وفيها اليُتم لكن عانَقَه الشغف بالعلم، فإذا ما بزغ الفجر وبدأت تباشير الصباح الأولى فسينفرج ذلكم الباب عن صبيٍّ لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره، صبيّ يافع لم تُعرَف له صبوة ولم يكن للشيطان منه حظ، ستراه ممسكًا بكتابه متَّجهًا إلى مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم شيخِه الأول الذي تلقى على يديه أبجديات العلوم وقواعده وبدايات الفهم ومعاقده.

كان هذا قبل أن يستأثر اللهُ ببصره ليعوضه بصيرةً ثاقبة يغبطه عليها المبصرون، ثم لم يزل هذا الشابّ يَرِد هذا الوِرْد (أعني العلم الشرعي) عللًا بعد نهل حتى إذا

بلغت سِنُّه السابعةَ والعشرين إذا هو قاض مؤتمن على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم.

«وبعد سبع سنوات من قيام المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ نشر قاضي الدلم الشاب عبدالعزيز بن باز أوّل مؤلفاته وعقد أول حلقاته، من هذه النقطة التقى التاريخان تاريخ الدولة السعودية وتاريخ الإمام ابن باز، وتواصلَا حتى هذه اللحظة»(١).

ولا أنسى ـ وإن نسيت كثيرًا ـ كلمات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى أثناء ترؤُّسه جلسةً من جلسات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية حيث كان خادم الحرمين رئيسَها والشيخ عبدالعزيز بن باز نائبه عليها، إذ قال: «لقد نصح الشيخ عبدالعزيز بن باز لوالدي، ثم لأخي سعود، ثم لأخي فيصل، ثم لأخي خالد، ثمّ نصح لي، وأسأل الله أن يَمُدّ في عُمره حتى ينصح لمن بعدي».

لله درّك خادمَ الحرمين الشريفين من ملك يعرف للعلماء قَدْرَهم وللناصحين مكانتَهم.

سماحة الشيخ... غاب جسدُك وبقي أثرُك، فقدنا شخصَك وعزاؤنا في بقاء علمك...

ناصر بن محمد بن طالب

القاضي بالمحكمة العامّة في عرعر].

خاتمة

(١) من مقال لجاسر الجاسر، مجلة المجلة عدد ٨٦، ٢٥/ ٢/ ١٤١٦هـ.

ومن أحسن ما يُختم به هذا الكتاب وصيةٌ[١] كتبها الشيخ عبدالعزيز إلى طلاب الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وقد صدرت من سماحته لَمَّا كان نائبًا لرئيس الجامعة بالمدينة النبوية، حيث قال رحمه الله:

«الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فالذي أوصي به أبنائي طلاب الجامعة الإسلامية هو تقوى الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال، والحرص على طلب العلم، والعناية بالمقرَّرات الدراسية والمذاكرة فيما بينهم فيما يخفى من مسائلها، والإصغاء للمدرِّسين والسؤال عن كلّ ما يُشكل في الدرس بالأسلوب الحسن.

ومن أهمّ أسباب التحصيل: إصلاح النية وحفظ الوقت والعمل بما علم، وقد جاء في بعض الآثار: «من عمل بما علِم أورثه الله علمَ ما لا يعلم».

وشاهد هذا في كتاب الله ـ سبحانه ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾[٣].

ومن أهمّ الأسباب أيضًا: الاستقامة على تقوى الله والحذر من المعاصي. قال الله سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٤].

والمخرج من الجهل من أهمّ المخارج المطلوبة، كما أنّ العلم من أفضل الرِّزق الذي ينتج عن التقوى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[٥]. وأحسن ما

---

(١) ناسب ذِكر هذه الوصية لأن هذا الكتاب كان أصله محاضرة أُلقيت في الجامعة الإسلامية بتاريخ ٧/ ١/ ١٤٢١هـ.

(٢) محمد ﷺ: ١٧.

(٣) مريم: ٧٦.

(٤) الطلاق: ٢-٣.

(٥) الأنفال: ٢٩.

قيل في تفسير الفرقان: إنه ما يحصل للعبد من نور العلم الذي يُفرِّق به بين الحقّ والباطل.

أما أثر المعاصي في الحرمان من العلم النافع فمعلوم بالنصّ والواقع، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[(١)].

ولا ريب أنّ حرمان العلم النافع من أعظم المصائب، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنّ العبد ليُحرَم الرِّزق بالذنب يُصيبه**». ولما جلس الشافعي بين يدي مالك ـ رحمة الله عليهما ـ قال مالكٌ للشافعي: «إني أرى الله قد ألقى عليك من نوره، فلا تُطفئهُ بالمعاصي» أو كما قال رحمه الله.

وقال الشافعي رحمه الله:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأنّ العلم نورٌ   ونور الله لا يؤتاه عاصي[(٢)]

وأسأل اللهَ أن يمنحكم التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح، وأن ينفع بكم عبادَه، إنه خيرُ مسؤول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(٣)].

هذه الوصية وإن كانت لطلاب الجامعة الإسلامية فهي موجَّهة إلى كلّ طالب علم؛ ليقرن العلم بالعمل، ويؤدِّي زكاةَ علمه الذي آتاه الله بدعوة الناس إلى الخير والهدى، مع الصبر على ما يحصل له من الأذى في سبيل ذلك.

وفي الختام لا يسعُنا إلا أن نقول:

اللهمَّ اغفر لشيخنا وإمامنا، وارفع درجتَه في المهديِّين، واخلُفه في عقِبه في

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) ذكر بعضُ أهل العلم أنّ هذين البيتين ليسا من قول الشافعي، واحتجّ بأنّ الشافعي ليس من تلاميذ وكيع، والصحيح أنه من تلاميذه، ففي كتاب «الأم» (٢/ ٧١، ٨٣) في باب الصدقات الثاني قال الشافعي: أخبرنا وكيع، كما أفاده بعض أهل العلم.

(٣) صدرت هذه الوصية من مكتب سماحته رحمه الله في ١٨/ ١٠/ ١٣٨٨هـ.

الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالَمين. اللهمَّ افسح له في قبره ونـوِّر لـه فيـه، اللهـمَّ آجرنا في مصيبتِنا واخلف لنا خيرًا منها.

ونسأل الله أن يتغمَّد شيخَنا وإمامَنـا في فردوسـه الأعـلى، وأن يجمعَنـا وإيـاه في مقعد صدقٍ عند مَليك مقتدر.

كما نسأله أن يُوفِّق علماء المسلمين إلى ما فيه صـلاح العبـاد والـبلاد، وأن يحفـظ علماء السنَّة في كلِّ مكان ويرفع رايتَهم، ويكبِت شانئَهُم وحاسدَهم.

وصلى الله وسلّم وبارك على رسول الله.

المراجع

١- الآداب الشرعية، لابن مفلح.
٢- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيّم.
٣- أخلاق النبيِّ ﷺ، لأبي الشيخ.
٤- أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني.
٥- الاعتصام، للشاطبي.
٦- إمام العصر، للدكتور ناصر الزهراني.
٧- الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز، لعبدالرحمن الرحمة.
٨- تاريخ إربل، لابن المستوفي.
٩- التاريخ الكبير، للبخاري.
١٠- تذكرة السامع والمتكلِّم في أدب العالِم والمتعلِّم، لابن جماعة الكناني.
١١- الترغيب والترهيب، للمنذري.
١٢- تعجيل المنفعة، لابن حجر.
١٣- تفسير ابن كثير.
١٤- تقريب التهذيب، لابن حجر.
١٥- تهذيب التهذيب، لابن حجر.
١٦- توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، لابن حجر.
١٧- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي.
١٨- حجة الوداع، لابن حزم.
١٩- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب.
٢٠- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي.
٢١- الرسالة، للشافعي.
٢٢- الزهد، لوكيع بن الجراح.
٢٣- السلسلة الصحيحة، للألباني.

٢٤- سنن ابن ماجه.
٢٥- سنن أبي داود.
٢٦- سنن الترمذي.
٢٧- سنن الدارمي.
٢٨- السنن الكبرى، للبيهقي.
٢٩- السنة، للبربهاري.
٣٠- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
٣١- الشمائل، للترمذي.
٣٢- صحيح ابن حبان.
٣٣- صحيح البخاري.
٣٤- صحيح مسلم.
٣٥- عنوان الدراية، للغبريني.
٣٦- عيون المراثي البازية.
٣٧- الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي.
٣٨- الفتاوى السعدية.
٣٩- فتح الباري، لابن حجر.
٤٠- الفوائد، لابن القيّم.
٤١- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، د. الطيار، أحمد الباز.
٤٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة، د. محمد الشويعر.
٤٣- المحلى، لابن حزم.
٤٤- المستدرك، للحاكم.
٤٥- مسند الإمام أحمد.
٤٦- معجم الأدباء، لياقوت الحموي.
٤٧- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

٤٨- المعجم الكبير، للطبراني.

٤٩- المعجم الوسيط.

٥٠- المقاصد الحسنة، للسخاوي.

٥١- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي.

٥٢- مواقف مضيئة في حياة الإمام عبدالعزيز بن باز، لحمود المطر.

٥٣- المواهب اللدنية على الشمائل المحمّدية، للبيجوري.

٥٤- النفح الشذي، لابن سيد الناس.

٥٥- الوابل الصيِّب، لابن القيّم.

٥٦- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

وممّن نقلتُ عنه مشافهةً:

١- محمد بن عبدالله بن باز (شقيق الشيخ الأكبر).

٢- أحمد بن عبدالعزيز بن باز (ابن الشيخ).

٣- الشيخ عبدالرحمن الجلّال.

٤- سعد الداود.

٥- صلاح عثمان.

٦- الشيخ عبدالمحسن العباد.

٧- الشيخ عمر الأشقر.

٨- الشيخ خالد المذكور.

٩- الشيخ حسن عشيش.

١٠- أحمد بن محمد بن سنان.

١١- الشيخ عبدالرحمن بن محمد السدحان.

١٢- إبراهيم المجلي.

١٣- سليمان الهديب.

الفهرس

الموضوع الصفحة

